

فترى الصغرى
مخرج اذخر

روائع المسرح العالمى
٨

تواريخ

تأليف
ألن رينيه لوساج

ترجمة
أنطون غزال

مراجعة وتقديم
عبد الحميد الداخلى

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومى
إدارة العامة للثقافة

ا. ر. ل. ساج

توركاريه

ملهاة في خمسة فصول

A. R. LE SAGE

TURCARET

Comédie en cinq actes

مقدمة

بقلم

الأستاذ محمد الحميد الدواهي

ولد «آلان رينيه لوساج» عام ١٦٦٨ ببلدة «سَرَزُو»
«Sarzeau» على مقربة من فان «Vannes»، ومات وقد بلغ
من العمر ما يقرب من ثمانين عاماً . قضى حياته كلها في عمل
متصل . تعلّم في مدارس الجزويت ؛ وحينما أتمّ دراسته ،
اشتغل في وظيفة إدارية تتعلق بالأعمال المالية في مقاطعة بريتانيا .
غير أن نفسه الطليقة الحرة التي فطرت على الاستقلال
لم تشأ أن ترتبط بقيود الوظيفة ؛ وضاق لوساج ذرعاً بما كان
يلقاه في عمله من أمور شائنة تنطوي على الإسفاف الخلقى
والجرأة الكبيرة في الخيانة وسرقة أموال الناس . فغادر
بريتانيا إلى باريس ليهب نفسه للأدب ويعيش ممّا تنتجه
قريحته ويسطره قلمه حياة لم تكن أيسر كثيراً من حياته
الأولى ... حياة خدّاعة ، كثيراً ما جرّت عليه الآلام
الشديدة ، إلا أنها كانت ترضيه ، فقد كفلت له الحرية التي كان
مولعاً بها والاستقلال الذي ينشده ... حياة لم يحظ فيها بالمال
ولا بالسعة في الرزق ، بالرغم من مؤلفاته العديدة ومواهبه
الفذة والعمل المتواصل الذي فرضه على نفسه أو فرضته

الحياة عليه ليعول زوجه وولديه وابنته .

لم يسع « لوساج » إطلاقاً إلى أن يحصل على معاش أو إعانة أو وظيفة اسمية تدرّ عليه المال دون عمل يوثقه ، وآثر أن يظلّ حرّاً ليعيش في عزلة هادئة كريمة . لم يشأ أن يتنازل عن بعض خصاله ليضمن كغيره من الأدباء حياة تتوافر له فيها الرفاهية والمتعة الدنيوية ، لأنه كان يكره الزيف والخداع والأبهة ويميل إلى كل ما هو شعبي متواضع . كان يتردد على المقاهي ويكره الصالونات . ظلّ متمسكاً بمثله العليا ، وحياته اليومية تدفعه دفعاً إلى أن يكتب ليعيش . وقد كان لذلك أثره الواضح في أدبه : فقد أُلّف للمسرح الشعبي ، وكان لا يضيره أن يكتب ما ينطق به « أرلكان » ، أو ما يرد على ألسنة العرائس ، لأن دعامة المسرح في نظره تقوم على الممثلين ، والخيوط التي تحرك العرائس هي تلك الخيوط نفسها التي تسيّر الرجال . وقد اضطر إلى أن يعتمد إلى الإطئاب تارة وإلى الحشواتارة أخرى ، لأن كل صفحة يكتبها كانت بمثابة مورد رزق جديد له . ولعلّ سعيه وراء المال يفسّر لنا كثرة الهزيل في كتاباته .

* * *

جيل بلاس Gil Blas :

اشتهر « لوساج » بقصته « جيل بلاس النتياني » التي

تروى لنا مغامرات أحد أبناء الريف الذى تنقل في جميع أرجاء إسبانيا وغشى جميع الأوساط وخالط الكثيرين من الناس ، فروى له البعض ما مر بهم في حياتهم ؛ وظل على هذا إلى أن تقدمت به السن فعاد إلى مسقط رأسه .

ظهر الجزء الأول من هذه القصة عام ١٧١٥ وظهر الجزءان الآخران سنة ١٧٢٤ وسنة ١٧٣٥ .

وقد تحدث « ولتر سكوت » عن « جيل بلاس » في كتابه (تاريخ مشاهير القصاصين) قائلا :

« إن البطل نفسه هو الذى يروى لنا قصته ، وفقاً لآرائه وتصوراته ، يرويها في استيعاب كبير وفهم حقيقى لم نعر عليهما في أية قصة أخرى . ومع هذا ، « فجيل بلاس » يظهر لنا كما لو كان شخصاً حقيقياً لدرجة أننا لا نتمكن من أن نستبعد من أذهاننا أننا نقرأ قصة شخص قد قام فعلاً بالأعمال التى يحدثنا عنها . إن « جيل بلاس » يتصف بجميع ألوان الضعف والغفلة التى تلازم الطبيعة البشرية ، والتى نلاحظها يومياً فى نفوسنا وفى أصدقائنا . إن « جيل بلاس » ليس لصاً عاتياً بطبعه ، لأنه يؤمن بالفضيلة ؛ ولكن نفسه - لسوء الطالع - سهلة الانقياد لكل قدوة سيئة أو لكل فرصة مغرية تعرض له . إنه يتصف بالحجل إلا أنه قادر على أن يقدم على ارتكاب أخطر الأمور . إنه ماكر وذكى ، ولكن كثيراً ما تغشاه غفلة شديدة بسبب كبريائه . وهو مرح

خفيف الظل" ؛ يأبى إلا يشركنا معه في السخرية من حماقات
الناس ؛ غير أن به كثيراً من الضعف لدرجة أن الدعابة التي
يقدمها لنا كثيراً ما تتناولوه هو . إنه ليتصف بكثير من
الفضائل التي تدفعنا إلى أن نحبه ، أما أن نحترمه فهو آخر
ما يطالب به قراءه ..

وهكذا كان « لوساچ » صورة من بطله في مرجه :
لقد جبل على المرح ، وكان مرجه لا ذعاً لدرجة أنه كان
أول أصمّ يسخر من نفسه ومن عاهته ! لم يكن يستطيع
أن يسمع إلا بوساطة بوق . وكان يقول وهو يخرج بوقه من
جيبه : « إن هذا هو الذي يسدى إلى » معروفاً حقيقياً .
قد أذهب إلى بعض المنازل فأرى وجوهاً جديدة ، وحينئذ
أطمع في أن أجد من بينهم من يكون ذا فطنة فأستعمل
بوقي ؛ ولكني لا أجد إلا حمقى فأسرع في إعادة جهازى
إلى جيبى قائلاً له : « ليس في وسعك أن تدخل السام إلى
نفسى ! » .

وزاره ذات يوم مؤلف إنجليزي يدعى « جوزيف سبنس »
Joseph Spence » وأخذ الضيف يردد الشكاوى المرة التي
يجار بها الإنجليز بالرغم مما يتمتعون به من حقوق ومزايا ،
فقال له « لوساچ » : « حقاً إن الشعب الإنجليزي أتعس
شعوب الأرض قاطبة بسبب ما يتمتع به من حرية وملكية
فردية وثلاث وجبات من الطعام يومياً ! » .

وقصته « الشيطان الأعرج » Le Diable Boiteux

تتمثل فيها دعابته ؛ وهى تروى مشاهدات رجل جال به
شيطان فوق سقوف مدريد ليطلعه على ما يجرى داخل المنازل .
وهذه القصة اقتباس صريح لقصة الكاتب الإسباني « جيوفارا » ،
إلا أنها أصبحت أشهر من الأصل الإسباني وأخذ الكتاب
يتحدثون عن شيطان « لوساچ » كما فعل « اللورد بيرون »
عندما تمنى أن يجد منه عوناً يطلعه على المطاعم التى تدور
فى أذهان أساتذته فى الجامعة !

توركاريه :

يضع النقاد هذه المسرحية فى صف مسرحيات « مولير » ؛
وهى وإن كانت هتاج مرّاً لتلك الطبقة من الملتزمين ورجال
المال إلا أنها هتاج حق ؛ فالسنوات التى قضاها « لوساچ »
فى الأعمال المالية جعلته يحتقر رجال المال . ومن المحتمل أن
يكون قد لقى خلال عمله فى الوظيفة الإدارية بعض أولئك
الذين يدفعهم الجشع فى جمع المال إلى أن يرتكبوا كل منكر
ويستحلوا كل حرام ، مما أثار نفسه المستقيمة وطبيعته الطيبة .
وهو فى مؤلفاته لا يترك فرصة تمرّ دون أن يوجه
النقد الشديد لأولئك الذين يستغلون عمل الغير أو ينتزعون
منهم غير مشروعة أموال أولئك الذين لا يعرفون كيف
أموالهم ولا يملكون وسائل الدفاع عنها .

ولذلك لقيت هذه المسرحية معارضة شديدة ، فقد
عمل رجال المال جاہدين على إبعادها عن المسرح ثم
إسقاطها ، وقد أفلحوا في هذا بعض الوقت إلا أنها لقيت
نجاحا كبير لدى الشعب بعد الفراغ من تأليفها سنة ١٧٠٩ ،
وحين مثلت في مسرح « أنطوان » كانت على رأس المسرحيات
التي عرضت فيه . ومرت هذه المعارضة وهذا التأييد نزاع
طبقى في المجتمع الفرنسي وقتذاك : فقد كانت الحروب على
وشك استنفاد خزائن الدولة وأتاحت الفرص لظهور سلطان
طبقة جديدة هي طبقة رجال المال التي كان لها أوفر نصيب
في بؤس الشعب ومتاعب الحكومة . . هي تلك الفئة نفسها
التي يطلق عليها أثرياء الحرب ، والتي يحلو للشعب دائما
أن يتندر عليها بدعابات قد تكون صحيحة أو مختلقة أو
مبالغ فيها . ارتقى « لوساج » بتلك الدعابة العابرة ، التي
قد تمس الحقيقة من قريب أو بعيد أو لا تمسها على الإطلاق ،
وألّف مسرحيته التي نرى فيها الفارق الكبير بين الدعابة
والعمل الفني القويم المتماثل الأطراف : حيث تتدافع
الحوادث وتتضح سمات أشخاص يمتون إلى الحياة ذاتها في
وضوح وجلاء منذ العبارة الأولى في المسرحية حتى العبارة الأخيرة .
وأشخاص هذه المسرحية يتصفون بصفتين مزدولتين :
الخيانة والغباء ، يصفهم المؤلف بأنهم مخادعون ولصوص
محتالون ، وغانيات غادرات . إنهم جميعا يمثلون تلك

التي لا يؤمن بها المؤلف ولا يرضى عنها إطلاقاً . ولعل
هناك سبباً آخر في هذه الكراهية : هو أن المؤلف في صباه
كان يتيم الأبوين ، وقد خسر الوصي عليه قضية كان رفعها
على شخص يدعى « رولاندو » ، فسبب ذلك إفلاس الشاب
آلان رينيه . وكانت أحداث هذه القضية لا تزال حية في
ذاكرته . وهو يؤلف « چيل بلاس » ، فلم يتردد في أن يطلق
على زعيم عصابة اللصوص اسم رولاندو .

أشخاص المسرحية :

يطنب « لوساج » في إبراز الناحية العاطفية في بطله السيد
« توركاريه » ، ويبين لنا تعلقه بالبارونة وإغداق المال عليها
وتقديم الهدايا ووعده لها بالزواج ؛ إلا أنه عاشق خادع
مخدوع ، يكذب وتجوز عليه الغفلة ! كما يصوره لنا خير
تصوير في المشهد السابع من الفصل الثالث ، خلال ذلك
الحديث الذي دار بين السيد « توركاريه » والسيد « رافل » ،
ففرى توركاريه رجل أعمال قادراً تماماً على إسكات ضميره
حين تتاح له فرص الحصول على المال : رجل أعمال لا يرحم
أحداً ولا يخشى شيئاً ولا يخاف إنساناً مهما أوتى من قوة
وسلطان . فأحد عملائه ، وهو مركيز ينتمى إلى أسرة كريمة
يهدده بالالتجاء إلى عمه الرئيس ، إلا أن توركاريه يرد عليه
في مخرقة الواثق من أن المال يحميهِ من كل أذى ويدفع عنه
سطوة ذوى السلطان . إنه يعرف كيف يدرأ الأخطار ،

معلناً ذلك ، مجاهراً به ، واثقاً من نفسه كل الثقة ومعتداً
بماله كل الاعتداد . نجد أيضاً هذا الاعتداد وتلك الثقة حين
يفأخر أمام البارونة بدقة ذوقه في تخير التحف والأواني
والأثاث المنزل والمباني ، وزعمه القدرة على قرض الشعر
وفهم الموسيقى ؛ وكم يلذ له أن يسرد مغامراته العاطفية !
هذه الثقة وهذا الاعتزاز يبينان لنا الفارق الكبير بين
السيد توركاريه وثرى مولير السيد جوردان . لقد قدم لنا
لوساج معالم جديدة في مسرحيته ، وإن زعم أنه لا يعدو أن
يكون مقلداً في فنه أستاذ المسرح الهزلي الفرنسي : ذلك
أن جوردان في مسرحية مولير يسير دائماً في حذر شديد
خشية ارتكاب أخطاء لا يقرها المجتمع ، ويحاول جاهداً أن يتعلم
ويستعين بأساتذة مدرّبين ليدرك ما يصبو إليه من ثقافة وتعليم
وتحصيل لغادات الكبار في مجتمعه وإتقان لشئائهم وصفاتهم .
وهو بلا شك ينتمى إلى أسرة من الطبقة الوسطى وقد زاد
ثروته بعمله وجده ؛ في حين أن توركاريه كان خادماً في
بدء نشأته ثم وافته الظروف فوصل إلى ما وصل إليه من مال
ومكانة ، بفضل ذكائه ومكره وخداعه ... توفيق في ميدان
المال والجاه ؛ وغباء تام فيما يتعلق بالأمور العاطفية ، فالبارونة
تسيّره كيف شاءت وتسخر منه سخريّة كبيرة . يثور عليها
بسبب اتهامات صحيحة صريحة ويعبث بأثاث مسكنها ،
فتتمكن من إقناعه ببراءتها وتعيد السكنى إلى قلبه ، ثم تذله

إذلالاً شديداً حتى ليركع عند قدميها طالباً منها المغفرة والصفح .
إنها تبقى على علاقتها به لأنها غانية . تنظر إلى الأمور نظرة
واقعية : فعشيقها مورد وفير للمال .

وهي بدورها لا تخلو من غباء بالرغم من مهارتها وسعة
حيلتها : لأنها تعلم أن الفارس لا يكاد يبقى على المال الذي
تأخذه من ثوركاريه ، وتعدّ ذلك ضعفاً من جانبها ، ولكن
مكر الفارس يغيب عنها تماماً ولا يخطر ببالها إطلاقاً ما تنطوي
عليه أعماله من احتيال وخداع إلى أن تتجلى لها الحقيقة
كاملة في نهاية المسرحية .

أما الفارس فهو يمثل الرجل المنحلّ المنحدر من أصل
عريق دون أن تتوفر له الثروة التي تتيح له الاستمرار في الحياة
التي ألفها من بدخ وإسراف ، فيستغل المرأة للوصول إلى
مآربه ، وفيه أكبر استعداد لهذا الاستغلال . وما يفترضه من
خداع ومرونة وقسوة ومكر وكذب : يظهر الحبّ والودّ
للبارونة ليحصل على مالها ويمدح خادمتها ما دام في هذا
الثناء فائدة عاجلة أو مصلحة آجلة .

وأما صديقه المركيز فهو بدوره رجل منحلّ خلقياً ،
لا عمل له في الحياة إلا السكر والعبث ليلاً والنوم والفراغ نهاراً
لا يكلف نفسه أية مشقة ، لأنه على يقين من أنه سيرث من
عمته ما يسدّد به ديونه . لقد كان المركيز يوماً ما سيداً
لثوركاريه فأصبح عميلاً مديناً له وفريسة لخداعه واحتياله .

إن الفارس والمركز يمثلان في المسرحية دور هذه الفئة من الشبان العاطلين الذين ينفقون المال في بذخ شديد ويعيشون عائلة على غيرهم .

أما زوج توركاريه فهي ريفية دعية ، لم يستطع زوجها أن يعيش معها فهجرها واضطرها إلى البقاء في الريف نظير نفقة يرسلها لها . تزعم أنها كونتيسة إذا جاءت إلى باريس ، ويصحب هذا الزعم التباهي بالأناقة وسلامة الذوق وتقليد الطبقة الراقية المتحضرة ، مما يجعل القارئ والسامع يفرقان في الضحك .

وأما أخت توركاريه ، وهي « مدام چاكوب » ، فقد لقيت من أخيها الجحود والغلظة فاستسلمت للقدر واشتغلت تاجرة تبيع بضاعتها في المنازل ، لتعول أسرهما وتربي أبنائها . وزوج توركاريه وأخته تتصفان بسلطة اللسان والقحة ولانسباب الشتائم من أفواههما ، وهي صفات نساء بعض طبقات الشعب في كل زمان .

بقي دور الخدم في المسرحية ، وهم يسعون جميعاً إلى كسب المال ، ولكنهم في درجات مختلفة من الذكاء : «فارين» لا تخلو من إخلاص لسيدتها البارونة ، ولكنه إخلاص مشوب بالمصلحة الشخصية ، فهي ترى أن ثروة سيدتها تعود عليها بالفائدة والربح . أما « ليزيت » فتعرف أن خير وسيلة لتحقيق مآربها هي سرقة أموال البارونة بواسطة الفارس

ليحصل « فرونتان » صاحبها وخطيبها على المال اللازم لها في حياتهما المستقبلية . ويمتاز فرونتان ، بالرغم من مكره ودهائه ، بالدعابة وخفة الظل ، وهو يمهّد لظهور « فيجارو » في المسرح الفرنسي . وهو في المشهد العاشر من الفصل الأول يؤكد فلسفة « لوساج » حين يقول : « إنني لمعجب بركب الحياة البشرية ! فنحن نهب غانية ، والغانية تلتهم مال رجل أعمال يسلب بدوره أموال الآخرين : وينتج عن ذلك سلسلة من المكر والخداع تبعث على الإغراق في الضحك ! » وهناك خادم آخر ، هو « فلامان » يسلك طريق الثروة والمجد ليصل إلى ما وصل إليه سيده « توركاريه » وإن اتصف ببلادة الدهن .

* * *

أما المسرحية فهي رائعة في مواقفها وحوارها . تبدأ بنقاش عنيف بين البارونة ومارين يسترعى انتباهنا منذ العبارات الأولى . وتتطور أحداثها فيعرض علينا المؤلف الأشخاص الآخرين عن طريق من ينوب عنهم في أول الأمر ، إذ يرسل الفارس خادمه فرونتان ويرسل « توركاريه » خادمه « فلامان » ثم يأتي هو نفسه بعد ذلك مباشرة كأنه لم يكتف بمن ينوب عنه فانهز أول فرصة للقاء محبوبته البارونة . ويظهر الفارس بعد ذلك ونكتشف خبثه وخداعه في المشهد التاسع من الفصل الأول حين نعلم على غير تقدير لذلك

أن ما ادعاه من خسارة في لعب الورق لا يعدو أن يكون كذباً واحتيالاً .

ثم تتشابه بعد ذلك حوادث المسرحية وتنمو في تناسق ويظهر أشخاص جدد إلى أن نصل إلى الفصل الخامس الملى بالحركة القوية السريعة وبالمفاجأة غير المتوقعة ألا وهو إفلاس « توركاريه » وهدم مكانته الاجتماعية ، وقول « فرونتان » « لقد مضى عهد السيد « توركاريه » وسيداً عهدى ! »

* * *

لقد ارتبطت حياة « لوساج » بهذه المسرحية ارتباطاً غريباً : ذلك أن أكبر ولديه « مونمبل » كان كاهناً فاضلاً ، قوى الخلق ، حسن السمعة ، غير أنه أحس أنه لم يخلق لهذا العمل الدينى فتنازل لأخيه عن دير « ماشكو » واشتغل ممثلاً فى المسرح ، فلقى نجاحاً كبيراً إلا أن والده غضب عليه ولم يغفر له أن يكون ممثلاً بارعاً إلا بعد أن شاهده يمثل دور « توركاريه » فى براعة وقوة وحيوية ، فعانقه باكياً وصفح عنه . غير أنه لم يغفر لابنه الثانى أن يكون كاهناً فاشلاً ، إذ كان معاصروه يصفونه بأنه يغنى أدوار المسرح خيراً من ترتيله للنصوص الدينية .

وتتابعت السنوات ، وهى تضى سريفة حينما تدركنا الشيخوخة ! وذات يوم ، فقد « لوساج » ابنه الأكبر الذى كان يحبه حباً جماً . وحينما أصيب قلبه بهذه الكارثة

من مخطوط إسباني ؛ ولكن الحقيقة هي أنه استمد صورها
وحوادثها من كتاب إسبانيين مختلفين ، ومن كتب فرنسية ألقت
عن إسبانيا ؛ ذلك أنه لم يعثر أحد على أصل إسباني للقصة
بينما أمكن التعرف على سمات كثيرين ممن يصفهم فيها من بين
الفرنسيين وخاصة من أهل المسرح ورجال الأدب ومنهم
« فولتير » الذي حمل على « لوساج » بسبب ذلك حملته العنيفة
المشهورة !

على أن الاقتباس لم يكن بالنسبة « للوساج » إلا وسيلة
يعبر بها عن الصور والمعاني الجديدة المبتكرة التي تنبعث من
نفسه ومن حياة المجتمع في عصره . ولهذا كان أدبه أدباً أصيلاً
يصدق عليه ما قاله أحد الشعراء في لافونتين من « أنه أخذ
كل شيء ولم يقلّد شيئاً » .

والجانب الذاتي في أدب « لوساج » قد حمل بعض النقاد
على ألا يجعله ضمن « الواقعيين » بالمعنى الذي استعمل به هذا
الاصطلاح بعد أوائل القرن التاسع عشر . فلوساج ، وإن كان
بعيداً عن الرومانسية ومزاعم الفلاسفة ، لم تتوفر لديه الموضوعية
الدقيقة التي نجدها لدى « فلوير » وقلميذه « موبسان » ، وهو
لا يعنى بالإطناب في الوصف مثل « بلزاك » أو « أميل زولا » .
وإذا جاز التحدث عن الواقعية في أدب « لوساج » فهي أقرب
إلى واقعية القرن السابع عشر التي لا تفرط في الاختصار على
الوصف لذاته ، وإن مالت إلى وصف الأشياء على حقيقتها .

و «لوساج» يكتفى دائماً بالخطوط الرئيسية المعبرة ويهمل ما سواها. وقد دفع ذلك نقاداً آخرين إلى إدراجه من الناحية الفنية بين كتاب القرن الذى سبقه. وينقصه فى المؤلفات السابقة طابع آخر اتسم به أدب الواقعيين، وهو العنف. غير أن هذه الصفة تظهر بوضوح — وإن لم تبلغ مداها — فى مسرحية «توركاريه» التى ابتدعها المؤلف بأكملها.

لقد ذهب النقاد إلى القول بأن الأب بريشو فى «مانون ليسكو» كان أول كاتب رومانتيكى، ويمكن أن يقال بحق بأن «لوساج» فى مسرحيته «توركاريه» كان أول مؤلف دراماتيكى واقعى.

عبد الحميد الروافى

أشخاص المسرحية

- السيد توركاريه : ملتزم الضرائب وعشيق البارونة .
السيدة توركاريه : زوجه .
الفارس والمركيز : من أبناء الأعيان .
البارونة : أرملة لعوب .
السيد رافل : مراب .
السيد فوريه : محتمل .
السيدة چاكوب : أخت السيد توركاريه ، تاجرة تتردد
على المنازل .
فرونتان : خادم الفارس .
فلامان : خادم السيد توركاريه .
چاسمان : خادم صغير لدى البارونة .
مارين وليزيت : خادمتان لدى البارونة .

* * *

تجرى حوادث المسرحية في مسكن البارونة بهاريس .

الفصل الأول

المشهد الأول

البارونة ، مارين

- مارين : وأمس أيضاً مائتا بيسطول^(١) !
البارونة : كفى عن عتابي .
مارين : كلا يا سيدتي لا يمكنني أن أسكت ، إن سلوكك لا يُطاق .
البارونة : مارين !
مارين : إنك تنفذين صبرى !
البارونة : هيه ! ماذا تريدان أن أصنع ؟ هل أنا امرأة من طبعها أن تكنز المال ؟
مارين : إنه لمطلب عسير عليك ولكنني أراك في حاجة إليه .
البارونة : ولم ذلك ؟
مارين : لأنك أرملة ضابط أجنبي كان في رتبة الرائد ، وقبيل السنة الماضية في «الفلاندر» ؛ وكنت قد استهلكت البائنة الزهيدة التي

(١) عملة فرنسية والمئتان منها تساويان ٢٢٠٠ فرنك ذهب تقريباً .

تركها لك عندما غادرك ، ولم يعد لديك
سوى أثاث منزلك الذى كنت ستضطرين
إلى بيعه إذا لم يكن الحظ المواتى قد وفقك إلى
السيطرة على قلب السيد « توركاريه » ملتزم
الضرائب . أليس هذا بصحيح يا سيّدى ؟
: لا أقول العكس .

البارونة
مارين

: لكن هذا السيد « توركاريه » ليس
بالرجل الخفيف الظل ، وأنت أيضاً
لا تحبينه بالرغم من أنك تنوين الزواج منه ،
كما وعدك بذلك ، أقول إن السيد توركاريه
لا يعجلّ بالوفاء بوعده . وأنت تنتظرين
بصبر أن ينجز وعده ، لأنه يقدم لك
كل يوم هدية قيمة . ليس لدى اعتراض
على هذا ولكن الذى لا يمكننى أن أتحمّله
هو أن تعجى هذا الإعجاب المفرط
بفارس تافه مقامر يذهب وينفق فى لعب
الورق أسلاب الملتزم . هيه ! ماذا تنوين
أن تصنعى بهذا الفارس ؟

البارونة

: أن أحتفظ به صديقاً ، أليس من المباح
أن يكون لنا أصدقاء ؟

: بلا شك ، وأصدقاء من النوع الذى نقبله

مارين

في أسوأ الحالات ، فهذا الفارس مثلاً
 يمكنك أن تزوجه إذا ما تخلف عنك
 السيد « توركاريه » . فهو ليس من هؤلاء
 الفرسان الذين وقفوا حياتهم على العزوبة
 ولا من أولئك المضطرين لأن يهبوا لنجدة
 مالطة ، إنه فارس من فرسان باريس ،
 يحول ويصول في خدمة ملك لعب الورق^(١)
 البارونة : أوه ! إنني أراه رجلاً على درجة كبيرة
 من الشرف .

مارين : إنني أراه عكس ذلك تماماً ، فظهره الواله
 ولهفته العذبة ووجهه الذي يتشكل وفقاً
 للظروف كل ذلك يجعلني أظنه ممثلاً
 كبيراً . والذي يؤكد رأيي هذا ، هو أن
 « فرونتان » ، خادمه الطيب ، فرونتان
 لا يمسه أمانى بأدنى سوء .

البارونة : إن ما تبين عليه حكمك لرائع ! وماذا
 تستنتجين من ذلك ؟

(١) في الأصل Il fait ses caravanes dans les dansquenets أي أنه يقف في قوافل اللانسكيتيه وهو ضرب من لعب
 الورق ، بدلا من السير في قوافل فرسان مالطة المحاربين ، ولا يخفى ما في
 ذلك من سخيرية وتهكم

مارين

: أن السيد والخدام خبيثان يتفقان على
خداعك . وأنت تدعينهما بخدعانك
بحيلهما بالرغم من طول معرفتك لهما .
نعم ، منذ أن ترميت كان الفارس أول
من تقدم لك فجأة بوجه . وهذا اللون
من الإخلاص أكد مكانته في منزلك
إلى حد أنه يتصرف في حافظة نقودك كما
يتصرف في حافظته تماماً .

البارونة

: حقاً إنني تأثرت بأول مظهر من مظاهر
العطف التي بدت منه ، وأعترف صراحة
أنه كان يجب عليّ أن أختبره قبل أن أكشف
له عن مشاعري . وأوافق صراحة على
أنك ربما كنت محقة في عتابي على كل
ما صنعتته من أجله .

مارين

: بلا شك ، ولن أكفّ عن الإلحاح عليك
حتى تطرده من منزلك ، فهل تدرين
ما الذي يقع إذا ظل الأمر على هذه الحال ؟
هيه ! ماذا يحدث ؟

البارونة

مارين

: إن السيد « توركاريه » سيعلم أنك تريدين
الاحتفاظ بالفارس صديقاً ، وهو لا يؤمن
بأن من حقنا أن يكون لنا أصدقاء ،

وسيكف عن تقديم الهدايا ولن يتزوجك.
وإذا اضطربت إلى الزواج من الفارس
فستكون زيجة تعسة لكما على السواء .

البارونة : إن آراءك لسديدة يامارين ، وسأفكر
في الإفادة منها .

مارين : تحسنين صنعاً إذ يجب تقدير المستقبل .
تطلعي منذ الآن إلى مركز ثابت وأفيدى
مما يغدقه عليك السيد « توركاريه » إلى
أن يتزوجك . وإذا أحجم فسيتحدث
حقاً المجتمع عن ذلك قليلاً ، ولكن
سيكون لديك ما يعوضك عن كلامهم
من صكوك مالية لها قيمتها ومال سائل
وخلى وأوراق مالية تصرف قيمتها لحاملها
عند الطلب وعقود تدرّ عليك إيراداً^(١) .
وستجدين حينئذ أحد النبلاء من
أصحاب النزوات ، أو ممتن هم في حالة
عسر ، يعيد إليك سمعتك بزيجة طيبة .
البارونة : إنني أذعن لحججك ، يامارين ، وأنوى

(١) عقود يتنازل فيها أحد الطرفين عن ملك أو سواء، مقابل مورد
ثابت يدفعه الطرف الآخر لمدة معينة أو مدى حياة الطرف الأول .

أن افترق عن الفارس إذ أشعر أنني بسببه
سأجلب الدمار على نفسي في نهاية الأمر .
: لقد أخذت تقبلين ما هو معقول ؛ وهذا
هو القرار الموفق . يجب أن تتعلقى
بالسيد « توركاريه » لتزوجى منه أو
لتستنزى أمواله ؛ فستخرجين على الأقل
من حطام ثروته بما يتيح لك القيام
بشئون حياتك في صورة لائقة وما يضمن
لك في المجتمع مركزاً مرموقاً . ومهما
تيسر للناس أن يقولوا فسيسام أصحاب
اللفظ ، وسيكل أهل النخبة ، وسيعتادون
رويداً رويداً أن يضغوك في صف نساء
الطبقة الراقية .

مارين

: لقد عقدت العزم ، وأريد أن أطرده
الفارس بعيداً عن قلبي . لقد انتهى الأمر
ولن أشاطره مصيره في الحياة ، فلن أعوض
خسائره ولن ينال منى بعد اليوم شيئاً .
: إن خادمه مقبل ، استقبله استقبالا
لاحرارة فيه ، وبذلك تبدئين العمل
العظيم الذى فكرت فيه .

البارونة

مارين

: دعى لى هذا الأمر !

البارونة

المشهد الثاني

البارونة - مارين - فرونتان

فرونتان : [للبارونة] لأننى آت من طرف سيدى
لأقدم لك يا سيدتى ، تحيته وتحيتى .

البارونة : [بمظهر فتور] - أشكرك على ذلك
يا « فرونتان » .

فرونتان : وأظن أن الآنسة مارين تقبل أيضاً أن
أسمح لنفسى بثحتها .

مارين : [بمنف] : عم صباحاً .

فرونتان : [وهو يقدم بطاقة للبارونة] - إن هذه البطاقة
التي كتبها لك السيد الفارس ستطعمك
على إحدى المغامرات .

مارين : [بصوت منخفض للبارونة] - لا تتسلمها .

البارونة : [وهي تأخذ البطاقة] هذا لا يلزمنى بأى شيء .
لننظر ، لننظر يا مارين ما يطلبه منى .

مارين : [بصوت خافت إلى البارونة] ياله من حب
استطلاع أخرق !

البارونة : [تقرأ] لقد تسلّمت صورة كونتييسة أرسلها
لك وأضحى بها من أجلك . لكن ليس
عليك أن تشكرى لى هذه التوضيحية ،

يا بارونتي العزيزة ، فإن سيديك متسلط على
تسلطاً لم أعد أملك معه الحرية في أن
أخونك ، واغفر لي يا معبودتي إن لم
أقل لك أكثر من ذلك فنفسى في حالة
ضنى قاتل . لقد خسرت هذه الليلة كل
مالى وسيروى لك فرونتان الباقي .
« الفارس »

مارين : ما دام قد خسر كل ماله ، فلا أرى
للأمر باقياً .

فرونتان : أرجو معذرتي ، فعلاوة على مبلغ المائتي
« بيستول » التى تكرمت سيدي فآقرضته
إياها بالأمس ، وعلى المال القليل الذى
كان لديه من جهة أخرى ، فقد أيضاً
مبلغ ألفى إيكو كان قد وعد بسداده .
هذا هو الباقي . لا ، يا للشيطان ! ليس
في بطاقة سيدي كلمة لغو واحدة .

البارونة : [لفرونتان] أين الصورة ؟
فرونتان : | وهو يعطى الصورة للبارونة [: ها هى ذى .
البارونة : لأنه لم يحدثنى عن هذه الكونتيسة
يا فرونتان .

فرونتان : لأنها غزوة غزوناها دون أن نسمى إليها .

لقد قابلنا منذ أيام هذه الكونتيسة أثناء
لعب ورق !

مارين : كونتيسة لعب الورق !

فرونتان : لقد تدلت على سيدى ، وردّ هو على
حركاتها ليعبث ويلهو ، ولما كانت هى تحب
الجد فقد حملت الأمر محملاً لا ينطوى على
الهزل وأرسلت لنا صورتها هذا الصباح ،
غير أننا لا نعرف اسمها .

مارين : أجزم أن هذه الكونتيسة لإحدى سيدات

نورمانديا ، وأن كل عائلتها المتوسطة
الحال تتعاون لتقدم لها بپاريس معاشاً
ضئيلاً تزيد نزوات اللعب أو تقلل منه .

فرونتان : [لمارين] هذا ما نجهله .

مارين : أوه ! كلا ! إنكما لا تجهلانه . يا للشيطان !

لستما ممن يضحون فى غباء ! إنكما تعرفان
تماماً ثمن التضحية مقدماً .

فرونتان : [للبارونة] هل تدرين يا سيدتى أن ليلة

البارحة كادت تكون ليلة أبدية بالنسبة
لسيدى الفارس ، فقد ألقى بنفسه عند
ما وصل إلى البيت فى مقعد وأخذ يتذكر

أتعس لعبانه ، وكان يمزج خواطره
بنعوت وتأنيبات عنيفة .

البارونة : [وهي تنظر إلى الصورة] رأيت هذه
الكونتييسة يا فرونتان ؟ أليست أجمل من
صورتها ؟

فرونتان : كلا يا سيدتي ، فهي كما ترين ليست ذات
جمال متنسق ، ولكنها على حظ لا بأس
به من الإثارة . نعم ولعمري هي على جانب
لا بأس به من الإثارة . ولقد أردت أن أقول
لسيّدتي إن كل شتائه كلام لا جدوى
فيه ، ولكنني رأيت أن ذلك مما يفرج
عن نفس لاعب يائس ، فتركته يروح
عنها باللوم والتقريع .

البارونة : [وهي لا تزال تنظر إلى الصورة] كم سنّها
يا فرونتان ؟

فرونتان : هذا ما لا أعرفه تمام المعرفة إذ أن بشرتها
على قدر من الجمال بحيث يمكنني أن أخطئ
إذا قدرت عمرها بعشرين عاماً .

مارين : أي أنها على الأقل في الخمسين من عمرها .
فرونتان : هذا ما أرجّحه إذ أنها تبدو في الثلاثين .
وإذن فقد وقع سيّدتي فريسة للغضب

الشديد ، بعد أن فكر طويلا ، وطلب
مسدساته .

البارونة : مسدساته يا مارين ! مسدساته !
مارين : إنه لن يقتل نفسه يا سيدتى ، لن يقتل
نفسه .

فرونتان : فرفضت إحضارها له فاستلّ في الحال
سيفه فجأة .

البارونة : آه لقد جرح نفسه دون شك يا مارين .
مارين : هيه ! كلا ، كلا ، لا بد أن فرونتان
قد منعه من ذلك .

فرونتان : نعم ، فقد ألقى بنفسى عليه دون تردد
وقلت له : ماذا أنت فاعل يا سيدى
الفارس ؟ إنك لتتجاوز حدود الآلام
الناجمة عن لعب الورق ، فإن دفعتك
مصيبتك إلى أن تكره الحياة ، فحافظ
على نفسك وعش على الأقل من أجل
بارونتك الحبيبة . لقد انتشلتك حتى
الآن بسخاء من كل ضيق وقعت فيه
(قد قلت له وأنا لا أبغى إلا تهدئة غضبه) :
كن على ثقة من أنها لن تتخلى عنك
الآن فى ضائقتك .

مارين : [بصوت منخفض] إن الغادر ليتقن ما يصنع !
فرونثان : ما الأمر كله إلا ألف « أيكو » ، هذه
المرّة ، والسيد « توركاريه » قوى الظهر
ويمكنه أن يحمل بسهولة هذا العبء
الجديد .

البارونة : وبعدئذ يافرونثان ؟
فرونثان : وبعدئذ ، أى عند ما سمع هذه الكلمات
(عجبي ياسيدي لقوة الأمل) تركنى أجّده
من سلاحه كما لو كان طفلاً ، واضطجع
في فراشه واستغرق في النوم !

مارين : يا للفارس المسكين !
فرونثان : ولكنه هذا الصباح عند ما استيقظ من
نومه ، شعر بهومته تعاوده ولم تبددها
صورة الكونتيسة . وقد أرسلنى في
الحال إليك ، وهو ينتظر عودتى لبيت
في أمره . ماذا أقول له يا سيدتى ؟

البارونة : قل له ، يا « فرونثان » ، إنه يستطيع
دائماً أن يعتمد علىّ . ولما لم يكن لدى
مال سائل [تهم بخلع ماستها]

مارين : [وهى تستوقفها] هيه ! ياسيدي أنفكرين
فيما تصنعين ؟

البارونة : [وهي تعيد ماسها] قل له إنني جدّ حزينة
لكارثته .

مارين : ولانتي من جهتي جد مكنتبة لمصيبته .
فرونتان : آه ! كم سيفغضب هو ! . . . [بصوت
منخفض على حدة] ليأخذ الطاعون هذه
الخادمة !

البارونة : قل له يا فرونتان إنني متأثرة لآلامه .
مارين : ولانني أحس بغمته إحساساً شديداً .
فرونتان : لقد قضى الأمر إذن يا سيدتي ، لن
تري الفارس بعد اليوم ، إن خجله لعجزه
عن تسديد ديونه سيبعده عنك إلى الأبد ،
فليس هناك ما هو أشد تأثيراً على سليل
أسرة عريقة . إننا سنستقل العربية بعد قليل .

البارونة : سيستقلان العربية ، يا مارين !
مارين : [للبارونة] ليس لديهما ما يدفعانه أجراً
للعربة .

فرونتان : وداعاً يا سيدتي .
البارونة : [وهي تخلع ماسها] انتظر يا فرونتان .
مارين : [لفرونتان] كلاً ، كلاً ، اذهب
واحمل إليه الردّ .

البارونة : [إل مارين] إن نفسي لا تطاوعني على

التخلّي عنه . [تعطى ماستها إلى فرونتان قائلة]
خذ ، ها هي ذى ماسة ثمنها خمسمائة
«بيستول»^(١) قدّمها إلى السيّد توركاريه .
اذهب وارهنها وأنقذ سيّدك من الهوة
السحيقة التي تردي فيها .

فرونتان : سأعيده إلى الحياة وسأخبره يا مارين ،
بشدة اكتئابك . [يخرج]

مارين : آه ما أقوى اتفاقاً كما أيها اللصّان !

المشهد الثالث

البارونة — مارين

البارونة : إنك ستثورين علىّ يا مارين ، وسيستولى
عليك الغضب .

مارين : كلاّ أوكد لك أنّي لن أكلف نفسي هذا
العناء ، وعلى أية حال ، ماذا يعنيني إذا
ذهب مالك كما أتى . إن هذا من شأنك
أنت يا سيدي ، إنها أمورك وحدك
ولا تعني أحداً سواك .

البارونة : آه ! إلى أحق بالشفقة مني باللوم ، فالعمل
الذي تريينني أقدم عليه ليس نتيجة لإرادة

(١) أى ما يعادل ٥٥٠٠ فرنك من الذهب تقريباً .

حرة ، لأننى أستجيب لهوى يملك على
نفسى ، ولن أستطيع الخلاص منه .

مارين : هوى يملك عليك نفسك ! أيليق بك
أن تستسلمى لهذا الضعف ؟ هيه ، أف
لك ! إنك تحبين كما تحب لإحدى عجائز
الطبقة الوسطى .

البارونة : ما أشد ظلمك يا مارين ! هل يمكنى
ألا أقدر للفارس التضحية التى يضحيتها
من أجلى ؟

مارين : إنها لتضحية مضحكة ! ما أسهل خداعك !
أقسم بحياتى ! لعلها صورة قديمة لإحدى
نساء أسرته ؛ من يدرى ؟ لعلها تكون
صورة جدته .

البارونة : [وهى تنظر إلى الصورة] كلا ، فلدى فكرة
عن ملامح هذا الوجه ، إنها لفكرة حديثة .

مارين : [وهى تأخذ الصورة] انتظرى ... آه ! هى
بعينها تلك الريفية الضخمة التى رأيناها فى
الحفل الراقص منذ ثلاثة أيام ، والتى لم تنزع
قناعها إلا بعد أن طال إلحاح الناس عليها ؛
ومع ذلك لم يتعرف عليها أحد عندما خلعتة .
البارونة : أنت على حق يا مارين . إن هذه

الكونتييسة ليست قبيحة الصورة على الإطلاق
ماوين : [وهي تعيد الصورة إلى البارونة] إنها تكاد
تمثل السيد توركاريه ؛ ولكن أقسم بشرفي ،
لو كانت الكونتييسة امرأة أعمال لما ضحى
بها أحد من أجلك .

المشهد الرابع

البارونة — فلامان — مارين

البارونة : اسكتي يا مارين ، لأنني ألح خادم السيد
توركاريه .

مارين : [بصوت منخفض للبارونة] أما هذا فلإننا
نستقبله بطيب خاطر . فهو لا يأتينا إلا
بأخبار سارة . إنه يحمل شيئاً . لا شك
أنها هدية جديدة يقدمها لك سيده .
[يدخل « فلامان » وفي يده صندوق صغير يقدمه
للبارونة]

فلامان : إن السيد توركاريه يرجوك أن تتقبلي هذه
الهدية الصغيرة يا سيدتي . إنني خادمك
يا مارين .

مارين : مرحباً بك يا فلامان ! إنني أفضل رؤيتك
على رؤية ذلك الفظ : فرونتان .

- البارونة : [وهي ترى الصندوق لمارين] تأملى يا مارين ،
واعجبى لصنع هذا الصندوق الصغير . هل
رأيت من قبل شيئاً ألطف منه ؟
- مارين : افتحى افتحى ، لأننى أحتفظ بإعجابى لما
فى داخله ، فإن قلبى يتحدثنى أن داخله
سيسحرنا أكثر من خارجه .
- البارونة : ماذا أرى ! صكا تصرف قيمته لحامله !
إن المسألة لجديّة حقاً .
- مارين : وما قيمته يا سيدتى ؟
- البارونة : عشرة آلاف « إيكو » .
- مارين : [بصوت منخفض] حسناً ! ها هو ذا خطأ
الماسة قد عوّض .
- البارونة : لأننى أرى ورقة أخرى .
- مارين : أهى أيضاً لأمر حاملها ؟
- البارونة : كلاً ! إن فيها أبياتاً من الشعر يرسلها إلى
السيد توركاريه .
- مارين : شعر من السيد توركاريه !
- البارونة : [وهي تقرأ] « إلى فيليس ^(١) ... رباعية »
لأننى فيليس وهو يرجونى شعراً أن أقبل
ورقته الثرية .

(١) لفظ يطلقه المتحدلقون على المحبوبات .

مارين : إننى شديدة التلهف لسماع شعر مؤلف .
يرسل نثراً بهذه الجودة .

البارونة : ها هي ذى ، اسمعى . تقرأ : « تقبلى
هذه البطاقة ، يا فيليس الساحرة ،
وكوفى على يقين من أن روحى ستحتفظ
دائماً بشعلة أبدية ، كما أنه من الأكيد أن
ثلاثاً وثلاثاً تساوى ستاً » .

مارين : يا للطافة الفكرة !
البارونة : يا لكرم أصالة التعبير . إن المؤلفين
يصورون أنفسهم فى مؤلفاتهم ، اذهبي
وضعى هذا الصندوق فى غرفتى يا مارين .
[تخرج مارين]

المشهد الخامس

البارونة — فلامان

البارونة : يجب أن أقدم لك شيئاً يا فلامان ،
فلانى أريد أن تشرب نخبى .

فلامان : لن أخالف لك مرا ياسيدتى ، وسأشرب
عن طيب خاطر .

البارونة : إننى أدعوك لتناول الشراب .

فلامان : عند ما كنت فى بيت ذلك المستشار الذى
خدمته فيما مضى كنت أقبل كل شئ ؛

ولكن منذ أصبحت في بيت السيد
توركاريه صرت رقيق المزاج ، نعم لقد
أصبحت كذلك .

البارونة : ليس هناك ما يكمل الذوق مثل بيت
رجل أعمال . [تعود مارين] .

المشهد السادس

البارونة - فلامان - مارين

فلامان : [وهو يلوح السيد توركاريه] ها هو ذا
ياسيدتي ، ها هو ذا . [يخرج] .

المشهد السابع

البارونة - السيد توركاريه - مارين

البارونة : إنني في غاية السرور لمشاهدتك ، ياسيد
توركاريه ، لأهنتك على الأبيات التي
أرسلتها لي .

السيد توركاريه : [ضاحكاً] هو ا هو ا .
البارونة : أتدرى أنها في غاية الأناقة ؟ إن أمثال
« فواتير » و « بافيون »^(١) من الشعراء لم

(١) فواتير : شاعر خفيف الظل ، ومؤلف رسائل مشهورة على
مالها من تكلف . وبافيون : شاعر صالونات . وقد اشتهر كل منهما
بالدعابة والفكاهة وخفة ظله .

يوقفوا إطلاقاً إلى أن يقولوا ما يمثّلها .

السيد توركاريه : هل تمزحين كما يبدو لي ؟

البارونة : كلاً مطلقاً .

السيد توركاريه : أحق يا سيدتي تجدينها جيدة النظم ؟

البارونة : إنها على أشدّ ما تكون من خفة الظل .

السيد توركاريه : وهي مع ذلك أول أبيات قلتها في حياتي .

البارونة : إن هذا لا يبدو فيها .

السيد توركاريه : لم أشأ أن أستعين بأحد المؤلفين كما يفعل الناس عادة .

البارونة : هذا واضح فالمؤلفون المحترفون لا يفكرون

ولا يعبرون هكذا ، ولا يمكن أن يخطر

بالبال أنها من نظمهم .

السيد توركاريه : أردت أن أعرف ، مدفوعاً بمجرد حب

الاستطلاع ، إن كان في استطاعتي أن أنظم

شعراً ففتق الحب ذهني .

البارونة : : إنك قادر على كل شيء ، ياسيدي ،

وليس هناك ما يتعذر عليك .

مارين : ونترك^(١) ، ياسيدي ، يستحق التهنئة ؛

(١) النثر هنا يقصد به الورقة المالية التي تصرف لحاملها .

فهو يساوى شعرك على الأقل .
السيد توركاريه : الواقع أن لنثرى مزاياه فقد وقع عليه
بالموافقة أربعة ملتزمين عموميين .
مارين : إن هذه الموافقة خير من موافقة المجمع .
البارونة : أمّا أنا ، فلا أوافق على نثرى ، ياسيدى
وأحس برغبة فى أن ألومك .

السيد توركاريه : وما سبب ذلك ؟
البارونة : هل فقدت الصواب لترسل لى صكا
تصرف قيمته لحامله ؟ إنك تقدم كل
يوم على عمل جنونى من هذا القبيل .

السيد توركاريه : إنك تمزحين .
البارونة : ما قيمة هذا الصك ؟ لئن لشدّة غضبى
لم ألتفت إلى المبلغ المدوّن فيه .

السيد توركاريه : حسنا ! ماهو إلا عشرة آلاف إيكو .
البارونة : ماذا ؟ عشرة آلاف إيكو ! آه ! لوأننى
عرفت ذلك لأعدته إليك توّاً .

السيد توركاريه : دعك من هذا !
البارونة : ولكننى سأعيده إليك .
السيد توركاريه : آه ! لقد تسلمته ولن تعيده .
مارين : [بصوت منخفض على حدة] : آه ! أمّا
هذا فلا !

البارونة : إن سخطى على دوافع لإرساله أشد على من
الصك نفسه .

السيد توركاريه : هيه ! ولم ذلك ؟

البارونة : أنت تغمرنى كل يوم بالهدايا ، ويخيل إلى
أنك تتصور حاجتك إلى مثل تلك القيود
لتجعلنى أتعلق بك .

السيد توركاريه : يا لها من فكرة ! كلاً يا سيدتى وليس
هذا هو القصد من

البارونة : ولكنك على خطأ ، يا سيدى ، فهذا
لا يزيد من حبي لك .

السيد توركاريه : ما أشد صراحتها ! ما أشد إخلاصها !
البارونة : إننى لآتأثر إلا باهتمامك بى وبمبادرتك ببلقائى .

السيد توركاريه : يا لها من قلب رقيق !

البارونة : ومن مجرد التمتع برويتك .

السيد توركاريه : إنها تسحرنى وداعاً يا فيليبس
الساحرة .

البارونة : ماذا ؟ أنتصرف بهذه السرعة ؟

السيد توركاريه : نعم يا ملكتى ، لم آت إلى هنا إلا لأحييك
تحية عابرة . إننى ذاهب إلى أحد اجتماعاتنا
لأعارض فى قبول رجل وضع الأصل
يريد أن ينضم إلى جماعتنا ، إنه رجل

لا قيمة له . وسأعود عندما يمكنني أن أفرّ
من الاجتماع .

البارونة : ليتك تعود سريعاً !

مارين : [وهي تحنى رأسها تحية للسيد توركاريه] .

وداعاً ، يا سيدي ، إنني خادمتك المطيعة .

السيد توركاريه : وبهذه المناسبة ، يا مارين ، يبدو لي أنني

لم أعطك شيئاً منذ وقت طويل [يعطيها حفنة

من النقود] خذى ، إنني أعطى دون أن أعدّ .

مارين : وأنا أقبل العطية دون أن أعدّ ، يا سيدي ،

أوه ! إننا نتصف سويّاً بالصدق وسلامة

القلب !

[يخرج السيد توركاريه]

المشهد الثامن

البارونة — مارين

البارونة : إنه ينصرف راضياً عنا كل الرضا ،

يا مارين .

مارين : وقد أصبحنا راضيتين عنه كل الرضا ،

يا سيدي . لله دره من رجل ! فهو صاحب

مال ، ومتلاف ، وسريع التصديق ، إنه

خلق للغانيات .

البارونة : وأنا أفعل به ما أشاء كما تريد .
مارين : نعم ، ولكن لسوء الحظ أرى رجلين
ينتقمان خير انتقام للسيد توركاريه ، إنهما
مقبلان .

المشهد التاسع

الفارس - البارونة - فرونتان - مارين

الفارس : [للبارونة] لقد أتيت يا سيدتي ، لأعبرك
عن شكري ، إذ لولاك لنقضت عهد
اللاعبين ، ففقدت كلمتي كل اعتبار
وامتهنت تماماً لدى جميع الناس المحترمين .
البارونة : إنني لجدّ مسرورة إذ أسديت لك هذه
الخدمة .

الفارس : آه ! ما أعذب أن يرى المرء محبوبته هي
التي تنقل شرفه !

مارين : [تحدث نفسها بصوت منخفض] ما أشد رفته
وأعذب هواه ! كيف يمكن أن ترفض
له أمراً ؟

الفارس : صباح الخير ، يا مارين ، يجب على
يا سيدتي أن أقدم لها بعض الشكر فقد

أخبرني «فرونتان» أنها قد اهتمت بما
ألمّ بي .

مارين : [للفارس] - إيه ! نعم . وحق حياتي ! لقد
اهتممت بما حلّ بك ، لأنه يكلفنا
ما يكفي لهذا الاهتمام .

البارونة : [لمارين] اسكتي يا مارين ، فإنك تظهرين
جراً لا تروفي .

الفارس : إيه ! يا سيدتي ، دعها تتكلم فإنا أحب
الصرحاء المخلصين .

مارين : وأنا أمقت من ليسوا كذلك .
الفارس : لأنها لطيفة كل اللطف عندما يتحدث مزاجها ،

فلها حينئذ أجوبة براءة تسحرني .
يا مارين ، إنني أكنّ لك على الأقل
ما يسمى صداقة حقيقية ، وأريد أن أقدم
لك أدلة عليها [يتظاهر بالبحث في جيوبه] .
يا فرونتان ، ذكرني بذلك في أول مرة
أربح في اللعب .

فرونتان : [لمارين] إنه مال نقدأ وعدأ .

مارين : [لفرونتان] إنني في حاجة شديدة حقاً إلى
ماله ! إيه ليته لا يأتي هنا فينب مالنا !

البارونة : احترسي مما تقولينه يا مارين .

- مارين : لأنها لسرقة تنطوى على الخداع والمكر .
- البارونة : إنك قد خرجت عن حدود الاحترام .
- الفارس : لا تحملى الأمر بمحمل الجد .
- مارين : لا يمكننى أن أضبط نفسى يا سيدتى ،
- لا أستطيع أن أظل هادئة حين أراك ألعوبة سيادته ، وأرى السيد توركاريه ألعوبتك .
- البارونة : مارين . . . !
- مارين : إيه ! أف ! أف ! يا سيدتى ! لأنها
- لمهزلة أن نأخذ بيد لنبدد بالآخرى . يا له
- من سلوك حميد ! سيقع علينا كل الغرم ،
- وسيجنى السيد الفارس كل الغنم .
- البارونة : أوه ! أما هذا الكلام ففي غاية القحة
- ولم أعد أطيق صبراً .
- مارين : ولا أنا أيضاً يا سيدتى !
- البارونة : سأطردك .
- مارين : لن أكلفك هذا العناء يا سيدتى ، لأننى
- أطرد نفسى بنفسى ولا أريد أن يقال
- وسط الناس إننى شريكة فى خراب رجل
- من رجال المال ، دون أن أجنى من وراء
- ذلك أية فائدة .
- البارونة : انصرفى أيتها الوقحة ، ولا تظهرى إطلاقاً

أمامي إلا لتقدمي لي الحساب .
مارين : سأقدمه إلى السيد « توركاريه » ؛ وإن كان
على حظ كاف من الحكمة ليصدقني
فستحاسبان سويتاً . [تخرج]

المشهد العاشر

الفارس — البارونة — فرونتان

الفارس : [للبارونة] أعترف أنها مخلوقة وقحة وقد
كنت في طرفها على حق .

فرونتان : نعم يا سيدتي ، لقد كنت على حق .
فما هذا ؟ إن هذه الخادمة كانت تجعل من
نفسها راهبة ناصحة لك .

البارونة : [لفرونتان] إنها دعيّة كانت تصم أذني
بلغوها دائماً .

فرونتان : وتزج بنفسها في إسداء النصيح لك وكانت
ستفسد عليك أمرك في النهاية .

البارونة : لم أكن أشعر برغبة شديدة في التخلص
منها لأنني امرأة وفيّة لعاداتي ، ولا أحب
الوجوه الجديدة .

الفارس : غير أنه سيكون أمراً مكدرّاً أن تذهب

في سورة غضبها الأولى فتثير لدى السيد
« توركاريه » هواجس ليست في صالحك
ولا في صالحى .

فرونتان : [للفارس] أوه ! وحق الشيطان ! إنها
لن تقصر في ذلك . فمثل الخدمات مثل
المسرفات في تعبدهن ، يقدمن على
الإحسان رغبة في الانتقام .

البارونة : وهل في هذا ما يقلق ؟ لأننى لا أخشاهن ،
فقد توفر لى الذكاء والسيد « توركاريه »
ليس على شىء منه : لأننى لا أحبه وهو
عاشق لى ، وسأعرف كيف أنتزع منه الثناء
جزاء طردها .

فرونتان : مرحى ، ياسيدتى ، مرحى ، فعلينا أن
ننتفع بكل شىء .

البارونة : ولكننى أرى أنه لا يكفى أن نتخلص
من مارين ، بل يجب أن ننفذ فكرة
خطرت لى الآن .

الفارس : أية فكرة ، ياسيدتى ؟

البارونة : إن خادم السيد « توركاريه » أبله ،
ساذج ، لا يمكن أن نحصل منه إطلاقاً على
أقل خدمة ، وأريد أن أضع مكانه رجلاً

حاذقا من ذوى القرائح الممتازة الذين
خلقوا للتسلط على هؤلاء الذين لم يوهبوا
الذكاء ، وليفرضوا عليهم دائما المواقف
التي تكون في صالحنا .

فرونتان : إحدى هذه القرائح الممتازة ! إننى أدرك
قصدهك ياسيدتى ، إن هذا الأمر يخصنى
وحدى .

الفارس : نعم ، حقا ، إن فرونتان سيفيدنا إذا
عمل لدى صاحبنا الملتزم .

البارونة : إنى أريد أن الحقه بخدمته .
الفارس : وسيعترف لنا بالجميل على ذلك ، أليس
كذلك ؟

فرونتان : إننى أحسدك على هذه الفكرة ، إذ لا يمكن
أن يتخيل الإنسان خيرا منها . أقسم لك
ياسيد « توركاريه » أننى سأجعلك تنتقل
بين بلاد العالم من خلال أحداثى .

البارونة : لقد أهدانى صكاً يصرف لأمر حامله بمبلغ
عشرة آلاف « إيكو » ، وأريد أن
استبدله بالمال السائل ، وبما أننى لأعرف
أحداً يقوم بهذه المهمة فهل لك ، ياسيدى
الفارس ، أن تقوم بذلك ؟ ادفع رهن

الخاتم إذ يسرنى أن استردّه وأطلعنى على
ما بقى من المال .

فرونتان : هذا هو عين الصواب ، ياسيدتى ، على ألا
يتسرب إلى نفسك أى شك فى أمانتنا .

الفارس : لن أضيع الوقت يا سيدتى ، وستحصلين على
هذا المال دون أدنى تأخير .

البارونة : انتظر لحظة لأحضر لك الصك .

المشهد الحادى عشر

الفارس - فرونتان

فرونتان : صك بعشرة آلاف « إيكو » ! يا للحظ
الحسن ويا للمرأة الطيبة ! يجب أن يكون
المرء موفقاً مثل توفيقك ليقع على مثيلاتها -
أتدري أننى أجدها كغانية تفرط فى سرعة
التصديق ؟

الفارس : إنك على حق فى ذلك .

فرونتان : ليس هذا بالتمن البخس لتضحيتك
بصاحبتنا الكونتيسة العجوز التى لا تمتلك
درهماً واحداً .

الفارس : هذا صحيح .

فرونتان : إن السيدة البارونة مقتنعة تماماً بأنك

خسرت عشرة آلاف « إيكو » بعهد
منك ، وأن ماستها مرهونة ؛ هل ستعيدها
إليها مع باقى مبلغ الصك ؟

: سأعيدها إليها !

الفارس

: ماذا ! بأكملها ، دون بند جديد
فى النفقات ؟

فرونتان

: سأجنب ذلك تجنباً تاماً .

الفارس

: إن لك أوقاتاً تتصف فيها بالأمانة وليس
هذا عهدى بك .

فرونتان

: سأكون أتعس الناس جميعاً إذا تعرضت
لقطع صلتى بها مقابل هذا الثمن البخس .

الفارس

: آه ! أرجو المعذرة : لم أكن فطناً فى
حكى ، إذ ظننت أنك تريد ألا تسير
فى الشوط حتى نهايته .

فرونتان

: أوه ! كلا ، فإن وقع بيننا شقاق فلن
يكون ذلك إلا بعد أن أستنزف تماماً
جميع أموال السيد توركاريه .

الفارس

: إلا بعد محقه ، أى بعد إبادته تماماً ؟
: لأننى لا أهتم بالغانية إلا لأقضى تماماً على
الملتزم .

فرونتان

الفارس

فرونتان : حسن جداً : إننى أتعرف على سيدى
خلال هذه المشاعر الكريمة .

المشهد الثانى عشر

الفارس — البارونة — فرونتان

الفارس : [يمس إلى فرونتان] صه ، يا فرونتان ، إن
البارونة لقادمة .

البارونة : اذهب ، يا سيدى الفارس ، اذهب ولا
تبطيء أكثر من ذلك لتستبدل هذا الصلك
وتعيد إلى خاتمى فى أقرب وقت ممكن .

الفارس : سيعيده لك « فرونتان » دون أدنى تأخير —
ولكن اسمحى لى قبل أن أفارقك ، وقد
سُحرت بتصرفاتك النبيلة ، أن أعبر لك ...

البارونة : كلاً ، إننى أمنعك من ذكر ذلك ،
دعنا من الاسترسال فى هذا الحديث .

الفارس : يا له من قهر يصيب قلباً يود أن
يعترف بالجميل !

البارونة : [ومى تنصرفت] دون وداع أيها الفارس
أعتقد أننا سنلتقى قريباً .

الفارس : أيمكننى أن أنصرف دون أن يصحبنى

مثل هذا الأمل الجميل ؟ [يسير بالبارونة
وهي تدخل مخدعها ، ثم ينصرف] .

المشهد الثالث عشر

فرونتان

فرونتان : إنني معجب بركب الحياة البشرية ، فنحن
نهب ثروة غانية ، والغانية تلتهم مال
رجل أعمال ؛ ورجل الأعمال بدوره يسلب
الآخرين أموالهم ؛ . . . إنها سلسلة من
المكر والخداع تبعث على الإغراق في
الضحك !

الفصل الثاني

المشهد الأول

البارونة — فرونتان

فرونتان : إننى لم أضع الوقت ، كما ترين ياسيدي .
هامى ذى ماستك : فالرجل الذى رهنها
سلمها لى عندما رأى الصك الذى يصرف
لأمر حامله يرق بين يديّ وهو يقبل صرفه
نظير ربح ضئيل . وسيأتى سيدى الفارس
الذى تركته معه ليقدم لك الحساب .

البارونة : لقد تخلصت أخيراً من مارين . لقد
حزمت أمرها بصفة جادة ، وكان أخوف
ما أخافه أن يكون مسلكها مجرد تظاهر
بمغادرتى ، ولكنها انصرفت . وهكذا
أجدنى يافرونتان فى حاجة إلى خادمة
وأكلفك أن تأتبنى بإحدى الخادومات .

فرونتان : إن طلبك تحت يديّ ، إنها فتاة شابة ،
هادئة مسايرة ، قد ترى فى بيتك ما ترى
فلا تنبس ببنت شفة .

البارونة : إننى أحب مثل هذه الطباع ، أتعرفها
معرفة وثيقة ؟

فرونتان : معرفة وثيقة جداً ، بل تربطنى بها بعض
صلات القربى .

البارونة : معنى هذا أننى أستطيع أن أثق بها إذن .

فرونتان : كما تثقن فى تماماً فهى تحت وصايتى
وأنا الذى أتصرف فى أجرها ومكاسبها ،
وأقدم لها ما يلزمها من حاجات ضئيلة .

البارونة : وهل تخدم حالياً ؟

فرونتان : كلا لقد تركت الخدمة منذ بضعة أيام .

البارونة : ولأى سبب ؟

فرونتان : كانت تخدم شخصين يعيشان عيشة منعزلة

ولا يستقبلان إلا زواراً يتصفون بالرزانة ؛

إنهما زوجان يحب كل منهما الآخر ،

أى أنهما شخصان غريباً الطباع ، وعلى

الجملة فيبيتهما يسوده الحزن ، ولذلك

فقد سئمته فتأتى الصغيرة .

البارونة : وأين هى الآن إذن ؟

فرونتان : إنها مقيمة بمنزل عجوز من معارفى تتصنع

الوقار فتتوى فى مسكنها الخادومات

العاطلات بدافع من الإحسان لتتعرف على

ما يدور في الأسر المختلفة .

البارونة : أودّ لو حصلت عليها منذ اليوم ؛

إذ لا أستطيع أن أعيش دون خادمة .

فرونتان : سأرسلها لك يا سيدتي ، أو أحضرها لك

بنفسي وسترضين عنها تماماً ، وأنا لم

أطلعك على كل صفاتها الطيبة ، إنها

تغنّي وتعزف عزفاً ساحراً على جميع

الآلات الموسيقية .

البارونة : إن حديثك يا « فرونتان » ينمّ عن أنها

خادمة على جانب كبير من اللطف .

فرونتان : إنني أضمنها لك ، ولذا فأنا أعدها

للأوبرا : ولكنني أريد قبل ذلك أن تهباً

تماماً وسط المجتمع ؛ إذ لا يقبلون هناك

إلاّ منّ أعددن إعداداً تاماً من الفتيات .

البارونة : إنني أنتظرها بفارغ الصبر .

المشهد الثاني

البارونة [وحدها]

إن هذه الفتاة ستسليني تسليّة عظيمة

وتطربني بأغانيها ، بينما كانت الأخرى

لا تفتأ تضايقني بوعظها .

المشهد الثالث

البارونة — السيد توركاريه

البارونة : [وهي تلمح السيد توركاريه تقول لنفسها] ولكنني أرى السيد توركاريه ؛ آه ! كم يبدو مضطربا ! لا شك أن مارين قد ذهبت وقابلته .

السيد توركاريه : [وهو يلهث] أف ! لست أدرى كيف أبدأ أيتها الخائنة !

البارونة : [مخاطبة نفسها بصوت خافت] لقد تحدثت إليه .

السيد توركاريه : لقد بلغتني أخبارك أيتها الخائنة ! لقد بلغتني أخبارك ، لقد أطلعوني على غدرك وعلى سوء سلوكك .

البارونة : [بصوت مرتفع] إنما لبداية لطيفة ، إنك

تستعمل ألفاظا غاية في الجمال ياسيدي !
السيد توركاريه : دعيني أتكلم فأنا أريد أن أخبرك بحقيقة أمرك لقد أطلعني عليه مارين . إن هذا الفارس الجميل الذي يأتي هنا كل حين ، والذي لم أكن نخطئا حين تسرّب الشك إلى نفسي في أمره ، ليس من أقربائك كما

زعمت : إنك تنوين الزواج به ، وأن
تتخلى عني فوراً عندما أكون قد كونت
لك ثروة .

البارونة : أحب الفارس ، أنا ياسيدي !
السيد توركاريه : لقد أكّدت لي مارين ذلك ، كما أكّدت .
لي أنه لا قيمة له في المجتمع إلا على حساب
مالك ومالي ، وأنتك تضحين له بكل
الهدايا التي أقدمها لك .

البارونة : إن مارين فتاة رائعة للغاية ! ألم تقل لك
سوى ذلك ياسيدي ؟

السيد توركاريه : لا تردى على أيتها الخائنة ، فلدي ما يفحمك !
حدثيني : ما الذي جرى مثلاً للامسة الكبيرة
التي أهديتها لك منذ بضعة أيام ، أريها لي
في الحال ، احضريها لي فوراً ؟

البارونة : ما دمت تتناول الأمر بهذه اللهجة ،
ياسيدي ، فأنا لا أريد أن أطلعك عليها .
السيد توركاريه : هيه ! وبأية لهجة - بحق الله - تريدني أن
أتحدث إليك . أوه ! لا تظني أنني من
الغباء بحيث أفترق عنك دون ضجة
وأنسحب دون صخب - أريد أن أترك
هنا ما يشهد على حقدي . إنني رجل

مخلص ، وأنا أحب حباً عميقاً ، ولست
أهدف إلا إلى أمور مشروعة ، لأنني
لا أخشى الفضيحة . آه ! إنك لست
أمام قسيس ، لأنني أنذرك بذلك [يدخل
غرفة البارونة] .

المشهد الرابع البارونة

البارونة : كلا ، لأنني أمام رجل غريب الأطوار ،
أمام رجل به مسّ من الشيطان ، أوه حسناً !
أفعل ما بدالك ، فلن أعارضك ، تأكد من
ذلك .. ولكن ماذا أسمع ؟ بحق السماء !
يا لها من فوضى !.. لقد جنّ حقاً —
يا سيد توركاريه ، يا سيد توركاريه ،
سأجعلك تكفر عن غضبك .

المشهد الخامس السيد توركاريه — البارونة

السيد توركاريه : [داخلاً] هأنذا قد سرّيت عن نفسي
بعض الشيء ، فقد حطمت المرأة الكبيرة
وأجمل الأواني الصينية .

البارونة : أكمل ياسيدى ، لم لاتواصل ماشرعت فيه ؟
السيد توركاريه : سأواصل عندما يحلو لى ذلك ، ياسيدتى ..
سأعلمك كيف تسخرين من رجل مثلى -
هيتا ، أعطيتنى الصك الذى يصرف لأمر
حامله ، والذى أرسلته لك منذ قليل ،
أعيديه لى .

البارونة : تطلب منى أن أعيده لك ! وإذا كنت
قد أعطيته أيضاً للفارس .

السيد توركاريه : آه ، لو صدقت فى ذلك !
البارونة : ما أشد جنونك ! إنك فى الواقع تثير
شفقتى عليك .

السيد توركاريه : ما هذا ! بدلا من أن تلقى بنفسها عند
قدمى وتطلب منى العفو ، تقول أيضاً إننى
على خطأ ، تقول إننى على خطأ !

البارونة : بلا شك !
السيد توركاريه : آه ! أود حقاً لمجرد التسلية أن تقوى
بإقناعى بذلك .

البارونة : سأفعل ذلك لو أنك كنت فى حالة تنقاد
معهما للصواب .

السيد توركاريه : وما الذى يمكن أن تقويه أيتها الخائنة ؟

البارونة : لن أقول لك شيئاً . آه ! يا للجنون
الناثر !

السيد توركاريه : [وهو يلهم] حسناً ! تكلمى يا سيدتى ،
لأنى هادئ .

البارونة : أصغ إلىّ إذن . . كل ما أقدمت عليه
من أعمال جنونية يقوم على وشاية
كاذبة من مارين .

السيد توركاريه : وشاية كاذبة ! وحق الشيطان ! أليس...
البارونة : لا تحلف ، يا سيدى ، ولا تقاطعنى ،
لا تنس أنك هادئ .

السيد توركاريه : هأنذا أصمت : لابدّ أن أسيطر على
نفسى .

البارونة : أتدرى لِمَ طردت مارين ؟

السيد توركاريه : نعم ؛ لأنها كانت تحرص تماماً على مصالحى .

البارونة : إن الأمر على عكس ذلك تماماً ، فالسبب

أنها كانت لا تفتأ تلومنى على العاطفة التى

أكنها لك . كانت تقول لى فى كل حين :

« هل هناك ما يبعث على الضحك أكثر

امن أن يرى الناس أرملة ضابط رائد

تفكر فى رجل يدعى السيد توركاريه ،

رجل لا أصل له ، ينقصه الذكاء ،

ومظهره لا خير فيه »

السيد توركاريه : دعينا أرجوك من هذه الصفات . إن مارين هذه لفتاة وقحة .

البارونة : « في حين أنه يمكنك اختيار زوج من بين

عشرين رجلا جميعهم من خير الرجال .

وبينما ترفضين مجرد الموافقة على الطلب

الملح الذي تقدمه إليك أسرة مركز

بأسرها ، يعبدك عبادة ، يبلغ بك الضعف

أن تضحي به من أجل السيد توركاريه » .

السيد توركاريه : هذا غير ممكن .

البارونة : إنني لا أدعي الفخر بذلك ، يا سيدي ،

إن هذا المركز نبيل ، ذو شخصية على

جانب كبير من اللطف ، ولكن أخلاقه

وسيرته لاتناسباني ، إنه يأتي هنا مع قربي

الفارس وهو صديقه . لقد اكتشفت أنه

استمال مارين فطردتها بسبب ذلك ،

فذهبت لتروى لك ألف فرية ، وإنك

لسريع التصديق فصدقها - ألم يكن من

الواجب أن تفكر في أن التي تحدثك هي

خادمة مغرضة ، وأنه لو كان هناك

ما أحاسب عليه نفسي لما بلغ بي التهور

أن أطرده فتاة أخاف أن تكشف أسرارى ؟
قل لى بربك ، ألا يعدّ طبيعياً أن نخطر
مثل هذه الفكرة بالذهن ؟

السيد توركاريه : لئن أوافقك على ذلك ، ولكن
البارونة : ولكن ، ولكنك مخطئ ، فقد قالت لك
فيما قالته إن الماسة الكبيرة التى وضعتها
أنت فى إصبعى منذ أيام وأرغمتنى على
قبولها لم تعد لدى .

السيد توركاريه : أوه ! نعم ، لقد أقسمت لى أنك أعطيتها
اليوم للفارس ، كما قالت لى إنه لا تربطك
به أية قرابة .

البارونة : وإذا أريتك هذه الماسة الآن فماذا تقول
إذن ؟

السيد توركاريه : أوه ! سأقول فى هذه الحالة إن . . .
ولكن هذا غير ممكن .

البارونة : هاهى ذى ، ياسيدى ، هل تستطيع التعرف
عليها ؟ تأمل إذن كيف ينبغي لنا أن
نصدق أقوال بعض الخدم .

السيد توركاريه : آه ! يا لمارين هذه من مجرمة عاتية !
لئن أعترف بشدة مكربها وبظلمى لك ،
اغفرى لى ياسيدتى لأننى شككت فى وفائك .

البارونة : كلا ، إن غضبك الجنوني لا يحتمل غفرانا ،
انصرف عني فليست أهلا للعفو .

السيد توركاريه : إنني أعترف بذلك .
البارونة : هل كان من الضروري أن تترك الناس
يشيرون — بهذه السهولة — سوء ظنك في
امرأة تحبك حبا جمعا ؟ .

السيد توركاريه : كلا ، وأأسفاه . . ويل لي من شقي
بائس !

البارونة : اعترف إذن أنك رجل جدّ ضعيف .
السيد توركاريه : نعم ، ياسيدتي .
البارونة : وأنتك لغرّ سهل الانقياد .

السيد توركاريه : إنني أوافق على ذلك . آه ! يالمارين !
يالليثيمة مارين ! لا يمكنك أن تتصورى
كل الأكاذيب التي روتها لي هذه المحرمة ؛
إنها تستحق الشنق . لقد قالت لي إنك
والسيد الفارس تعتبراني بقرتكما الحلوب ،
ولاني إذا أعطيتك اليوم بدلا من الغد كل
ما أملك لأغلقت بابك في وجهي .

البارونة : يالها من شقية مخادعة !
السيد توركاريه : لقد قالت لي ذلك ، إنه أمر لا ريب فيه
وأنا لا أخلق شيئا .

البارونة : وبلغ بك الضعف أن تصدقها لحظة واحدة !

السيد توركاريه : نعم ياسيدتى ، سرعان ما وقعت في الفخ
كأضعف مخلوق ، يا للشيطان أين كان عقلى ؟

البارونة : أتندم على سرعة تصديقك لها ؟

السيد توركاريه : [وهو يركع] تسألينى عما إذا كنت أندم ؟
لأننى أطلب عفوك ألف مرة لما بدر منى
من غضب .

البارونة : [ومى تنهض] لأننى أغفره لك . أنهض

ياسيدى ، فلو كان حبك أقل من ذلك
لكانت غيرتك أخف ، وشدة حبك لى
تجعلنى أتغاضى عن عنف غيرتك .

السيد توركاريه : يالها من طيبة ! ينبغى لى أن أعترف بأننى
رجل على جانب كبير من القسوة !

البارونة : ولكن قل لى ياسيدى حقا ، أعتقد أن

قلبا يستطيع أن يتردد لحظة واحدة

فى الاختيار بينك وبين الفارس ؟

السيد توركاريه : كلا ياسيدتى ، لأننى لأعتقد ذلك ، ولكننى
أخشاه .

البارونة : وما الذى يجب عمله لتبديد مخاوفك ؟

السيد توركاريه : ابعدى هذا الرجل من هنا ، وافقى على

ذلك ، وأنا أعرف وسيلة إبعاده .

البارونة : وما هي ؟

السيد توركاريه : سأمنحه إدارة في الريف^(١).

البارونة : إدارة !

السيد توركاريه : إنها وسيلتي لإبعاد الثقلاء... آه ! كم
من أبناء الأخوال والأعمام والأزواج
عينتهم مديرين في حياتي ! ولقد أرسلت
بعضهم إلى كندا .

البارونة : إلا أنه لا يغيب عنك أن قريبي الفارس من
النبلاء وأن هذا النوع من الوظائف
لا يليق به... اذهب ولا تهتم بإبعاده من
باريس وأقسم لك أنه آخر من يثير قلقك
في العالم .

السيد توركاريه : أف ! إن نفسي لتمتلئ حبا وفرحاً ،
فأنت تقولين لي ذلك بطريقة تنطوي على
اليسر والصدق فأقتنع تماماً بما تقولين...
وداعاً يا معبودتي ، يا كل شيء لي ،
يا إلهتي ، لا تأبهى ، لا تأبهى ، فسأعوضك
عن الحماقة التي ارتكبتها تعويضاً مجزياً .
إن مرأتك الكبيرة لم تكن على الأقل

(١) لقد كان يمثل جماعة الملتزمين العموميين في الريف مديرون

يخضع لهم مزارعون من فئات مختلفة .

مصقولة صقلاً جيداً ، وكنت أعتبر آيتك
الصينية عادية إلى حد كبير .

البارونة : هذا صحيح .

السيد توركاريه : سأحضر لك غيرها .

البارونة : ها هو ذا ثمن أعمالك الجنونية .

السيد توركاريه : إنه لأمر تافه . فكل ما حطمت لم يكن

يساوى أكثر من ثلثائة « بيستول »

[يريد الانصراف فتستوقفه البارونة] .

البارونة : انتظري يا سيدى ، فيجب قبل ذلك أن أوجه

إليك رجاء .

السيد توركاريه : رجاء ! أوه ! أصدرى لى أوامرك .

البارونة : باسم حبك لى ، أرجو أن تعين هذا

المسكين « فلامان » خادمك فى إحدى

الوظائف . إنه فى أشعر نحوه بالود .

السيد توركاريه : لو أننى وجدت لديه أدنى استعداد لمهدت

له السبيل ؛ ولكنه يتصف ببساطة ذهنية

شديدة ، مما لا يجعله صالحاً لتولى الأعمال .

البارونة : عينه فى وظيفة لا يصعب عليه القيام بها .

السيد توركاريه : سيحصل عليها منذ اليوم ، إنه لأمر

مقطوع به .

البارونة : ليس هذا كل ما فى الأمر ، فأنأ أريد

أيضاً أن ألحق « فرونتان » خادماً قريبي
الفارس ، بخدمتك ، فهو بدوره فتي
على جانب كبير من الطيبة .
السيد توركاريه : إني أقبله ، يا سيدتي ، وأعدك بأن ألحقه
بخدمتي في أقرب فرصة .

المشهد السادس

البارونة - السيد توركاريه - فرونتان

فرونتان : [للبارونة] سيدتي ، ستحضر الفتاة التي
حدثتك عنها بعد قليل .

البارونة : [للسيد توركاريه] ها هو ذا الفتى الذي
أريد أن ألحقه بخدمتك .

السيد توركاريه : إنه يبدو على شيء من السداجة .

البارونة : ما أشد فهمك لسياء الناس !

السيد توركاريه : إن نظرتي لا تخطيء إطلاقاً [لفرونتان]

اقترب ، يا صاحبي . قل لي ، هل لك
علم ببعض المبادئ العامة ؟

فرونتان : وما الذي تعنيه بالمبادئ ؟

السيد توركاريه : المبادئ اللازمة للمستخدم ، أي إذا كنت

تعرف كيف يمكن منع المخادعات أو
المساعدة عليها ؟

فرونتان : إننى لا علم لى بذلك بعد ، يا سيدى ،

ولكنى أشعر أننى سأتعلمه فى سهولة ويسر .

السيد توركاريه : أتعرف على الأقل الحساب ؟ أتعرف

كيف يكون حساب الدائن أو المدين ؟

فرونتان : نعم يا سيدى ! وأعرف أيضاً كيف

يكون حساب الدائن والمدين معاً . وأنا

أكتب أيضاً بخطين ، تارة بهذا وتارة بذلك

السيد توركاريه : بالكتابة المستقيمة ، أليس كذلك ؟

فرونتان : بالمستقيمة والمائلة على السواء .

السيد توركاريه : وماذا تعنى بالمائلة ؟

فرونتان : هيه ! نعم ، بخط تعرفه . . هكذا . .

بخط ليس قانونياً .

السيد توركاريه : [للبارونة] يقصد الخط المنحرف .

فرونتان : هو ما تقول تماماً : إن هذه هى الكلمة

التي كنت أبحث عنها .

السيد توركاريه : يا للسذاجة ! إن هذا الفقى يا سيدتى ،

لعلى جانب كبير من الغباء .

البارونة : سوف يتعلم فى مكاتبك .

السيد توركاريه : أوه ! نعم ، يا سيدتى ، أوه ! نعم بكل

تأكيد . . وعلى كل حال ، فالذكاء

البارع ليس شرطاً ضرورياً للنجاح .

فليس بيننا فيما عداى وفيما عدا اثنين أو
ثلاثة آخرين سوى عقول عادية للغاية .
إذ يكفي للنجاح أن يكون المرء على شئ
من المران والممارسة ، مما يتأتى اكتسابهما
للناس جميعاً . لأننا نتعلم كيف نأخذ من
العالم خير ما فيه ، ثم ما أكثر من نقابل
من الناس ! وهذا هو كل علمنا .

البارونة : ليس هذا بأقل العلوم فائدة .

السيد توركاريه : [لفرونتمان] إذن يا صاحبي ، أنت في
خدمتي وأجرك سار منذ الآن .

فرونتمان : إنني أعتبرك إذن يا سيدي ، مخدمي
الجديد . . ولكن يجب ، بصفتي الخادم
السابق للسيد الفارس ، أن أقوم بعمل كلفني
به : فهو يقدم لك وللسيدة قريبتة العشاء
هنا هذا المساء .

السيد توركاريه : إنني أقبل عن طيب خاطر .

فرونتمان : سأوصي محل فيت^(١) ، بإعداد جميع
ألوان الأطعمة المتبيلة ، وأطلب منه أربعا

(١) أحد المطاعم المشهورة في ذلك العهد .

وعشرين زجاجة من نبيذ (شمبانيا) ،
وسيكون مع العشاء مغنون وموسيقيون
ليبعثوا البهجة في نفوسكم خلال تناول
الطعام

البارونة : هل سيكون هناك موسيقى يا فرونتان ؟

فرونتان : نعم يا سيدتي ، والدليل على ذلك أنني
أمرت أن أوصى بمائة زجاجة من نبيذ
« سورين »^(١) ، ليشرب أفراد الفرقة
الموسيقية .

البارونة : مائة زجاجة !

فرونتان : ليس هذا بالكثير يا سيدتي ، فسيكون
هناك ثمانية من العازفين يصاحبون
الأغاني ، وأربعة إيطاليين من باريس
وثلاث مغنيات ، ومغنيان من ذوى
الصوت القوى .

السيد توركاريه : لعمري إنه على حق ، ليس هذا بالكثير .
إن هذه الوجبة ستكون رائعة .

فرونتان : أوه ! يا للشيطان ! إن سيدى الفارس
لا يضمن بشيء إطلاقاً عندما يقيم حفلات

(١) نوع من النبيذ الخفيف .

عشاء من هذا النوع .
 السيد توركاريه : إننى واثق من ذلك .
 فرونتان : فهو يبدو وكأن تحت تصرفه كيس نقود
 أحد حبة الضرائب .
 البارونة : [للسيد توركاريه] يريد أن يقول بأنه ينفق
 عن سعة فى جميع أموره .
 السيد توركاريه : ما أشد سداجته ! [إلى فرونتان] حسناً !
 سنرى ذلك بعد قليل [إلى البارونة] وزيادة
 فى المتعة سأصطحب معى السيد «جلوتونو»
 الشاعر ، إن الطعام لا يحلو لى إلا إذا
 جلس على مائدتى بعض أفذاذ الرجال .
 البارونة : ستدخل السرور على نفسى بذلك . إن
 هذا المؤلف ممتع فى حديثه ، على ما يبدو لى .
 السيد توركاريه : إنه لا يقول أربع كلمات أثناء الوجبة
 ولكنه يأكل ويفكر كثيراً . أوه ! إنه
 رجل على جانب كبير من اللطف ،
 إذن هيا ! سأسرع إلى محل « دوتيل »^(١)
 لأشترى لك ...
 البارونة : أرجوك أن تنبهه إلى ما تصنع : لا تقدم

(١) صانع مشهور وقتذاك .

على إنفاق مالك ...

السيد توركاريه : [وهو يقاطها بدوره] إليه ! أف !
يا سيدتي أف ! إنك تتوقفين عند
التوافه . بلا وداع يا مليكي .
البارونة : إنني أنتظر عودتك بفارغ الصبر .
[يخرج السيد توركاريه]

المشهد السابع

البارونة - فرونتان

البارونة : وأخيراً ها أنت ذا في طريقك إلى الثروة .
فرونتان : نعم يا سيدتي ، وأنا أيضاً في حالة
لا تسىء إلى ثروتك .
البارونة : الآن ، يا فرونتان ، يجب أن تطلق العنان
لهذه القريحة الرائعة .
فرونتان : سأحاول أن أثبت لك أنها ليست قريحة
هزيلة .
البارونة : متى تحضر لي هذه الفتاة ؟
فرونتان : إنني في انتظارها ، لقد ضربت لها
موعداً هنا .
البارونة : أخبرني عندما تأت . [تدخل غرفتها]

المشهد الثامن

فرونتان [وحده يتحدث نفسه]

تشجع يا فرونتان ! إن الثروة تناديك .
ها أنت ذا في خدمة رجل أعمال وقد
بلغت هذه الغاية عن طريق غانية -
يا للفرحة ! يا للأمل الجميل ! يبدو لي
أن كل ما سأمسته سيتحول ذهباً . . .
[وهو يرى ليزيت] : ولكنني ألمح فتاتي

المشهد التاسع

ليزيت - فرونتان

فرونتان	: مرحبا بك يا ليزيت ! . . . لهم ينتظرونك في هذا المنزل بفارغ الصبر .
ليزيت	: وأنا أدخله برضى يدفعني إلى التفاؤل .
فرونتان	: لقد أطلعتك على كل ما يجري ، وعلى كل ما يجب أن يجري في هذا المنزل : وما عليك إلا أن تتصرفي وفقا لذلك ، عليك أن تذكرى - فحسب - أنه لا بد لك من مراعاة اللطف بصفة دائمة .

ليزيت : لاضرورة فى أن توصينى بذلك .
 فرونتان : تملقى دائماً ولع البارونة بالفارس .
 هذا كل ما فى الأمر .
 ليزيت : إنك تتعبنى بدروس لا نفع فيها .

المشهد العاشر

الفارس ، فرونتان ، ليزيت

فرونتان : [وقد رأى الفارس مقبلاً] ها هو ذا مقبل .
 ليزيت : [وهى تتأمل الفارس] لم أره قبل ذلك . .
 آه ! ما أحسن خلقته ، ما أجمله ،
 يا فرونتان !
 فرونتان : لا يجب إطلاقاً أن يكون الإنسان قبيحاً ،
 ليثير حب غانية .
 الفارس : [لفرونتان دون أن يرى أول الأمر ليزيت]
 إننى القاك فى الوقت المناسب ، يا فرونتان
 لا تخبرك . . [وهو يلوح ليزيت] ولكن
 ماذا أرى ؟ ما هذا الجمال الرائع ؟
 فرونتان : إنها فتاة أحضرتها للسيدة البارونة لتحل
 محل مارين .
 الفارس : وهى بلا شك إحدى صديقاتك ؟

فرونتان : نعم يا سيدى ، إذ يعرف كل منا الآخر
منذ عهد بعيد ، وأنا كفيها .

الفارس : يا للكفالة الطيبة ! إن هذا لمديح صيغ
في كلمة واحدة ، إنها ، وحق الشيطان ،
لفاتنة يا سيدى الكفيل ! إننى مستاء منك
أشد الاستياء .

فرونتان : وما سبب ذلك يا سيدى ؟
الفارس : أقول لك إننى مستاء منك ، إنك مطلع
على جميع أمورى وتخفى عنى أمورك .
لست بالصديق المخلص .

فرونتان : لم أشأ يا سيدى . . .
الفارس : [وهو يقاطعه] ومع ذلك ، يجب أن تكون
الثقة بيننا متبادلة . لماذا أخفيت عنى
هذا الاكتشاف الجميل ؟

فرونتان : أقسم لك ، يا سيدى ، أننى كنت أخشى ...
الفارس : [وهو يقاطعه] ماذا ؟

فرونتان : أوه ! يا سيدى ، وحق الشيطان إنك
تفهم ما أرمى إليه .

الفارس : [على حدة] يا للخبيث ! أين اكتشف هذا
الوجه اللطيف ؟ [لفرونتان] . يا فرونتان ،
ياسيد فرونتان ، إنك لتتصف بذوق دقيق

رقيق عند ما تختار لنفسك ، ولكن
ذوقك ليس بهذا القدر من السلامة
فيما يتعلق بأصحابك . . آه ! يا للصورة
المثيرة ! ويا للخادمة التي تعبد !

ليزيت : [على حدة] ما أوجه الشبان النبلاء !

الفارس : لأنني لم أر إطلاقاً أجمل من هذه الفتاة .

ليزيت : وما أشد فتنة تعبيراتهم ! . . . لم يعد

يدهشني أن أرى النساء تطاردنهم .

الفارس : [لفرونتان] للتقايض ، يا فرونتان ،

تنازل لي عن هذه الفتاة ، وأنا أترك لك

« كونيستى » العجوز .

فرونتان : كلا ، يا سيدى ، فأنا صاحب ميول

شعبية ، إني متمسك بليزيت التي قطعت

على نفسها لها عهداً .

الفارس : حسناً ، يمكنك أن تعد نفسك أسعد

سوق . [لليزيت] . نعم ، يا ليزيت الجميلة

إنك تستحقين . . .

ليزيت : [وهي تقاطعه] هدنة ، سيدى الفارس ،

من هذا الكلام الرقيق العذب . لأننى ذاهبة

لأقدم نفسي إلى سيدتى التي لم ترنى بعد ؛

ويمكنك ، إذا شئت ، أن تأتي معي
وتواصل الحديث أمامها .

[تدخل غرفة البارونة]

المشهد الحادي عشر

الفارس — فرونتان

الفارس : لتتكم في الأمور الجديدة ، يا فرونتان .

إنني لم أحضر للبارونة نقود صكها .

فرونتان : إنه لأمر مؤسف .

الفارس : لقد ذهبت أفتش عن مراب سبق أن

أقرضني مالا ، ولكنه الآن ليس

بباريس ، لقد عرضت له بعض أعمال

مفاجئة حملته على أن يغادرها بغتة ،

وعلى هذا فسأعهد إليك بأمر هذا

الصك .

فرونتان : ولماذا ؟

الفارس : ألم تقل لي إنك تعرف صرافاً يعطيك

مالاً في الحال ؟

فرونتان : هذا صحيح ، ولكن ماذا تقول للسيدة

البارونة ؟ إنك إذا أخبرتها بأن صكها

لا يزال معك لوضع لها تماماً أننا لم
نرهن ماستها ، فهي على كل حال ،
لا تجهل أن الرجل الذى يقرض لا يتخلى
عن رهنه دون مقابل .

الفارس : إنك على حق : ولذا أرى أن نقول
لها إننى قبضت المال ، وإنه فى منزلى
وأنتك ستحضره غداً صباحاً إلى هنا .
وأسرع أنت خلال ذلك بالذهاب إلى
صرافك وأحمل إلى البيت المال الذى
ستقبضه منه ، وسأذهب لأنتظرك
هناك ، حينما أفرغ من حديثى مع
البارونة .

[يدخل غرفة البارونة]

المشهد الثانى عشر .

[فرونتان وحده يتحدث نفسه]

إن العمل لا ينقصنى ، والله الحمد !
يجب أن أذهب إلى صاحب المطعم ومن
هناك إلى الصراف ، ومن الصراف إلى
المنزل ، ثم على أن أعود إلى هنا لأقابل
السيد توركاريه ، إن هذا يسمى -

فيما يبدو لي - حياة صاحبة بالعمل . .
ولكن صبراً ! فبعد وقت قصير من
التعب والعناء سأصل أخيراً إلى حالة
البسر . . . ويا لها حينئذ من مسرة !
ويا له من هدوء بال ! لن يكون على
عندئذ إلا أن أريح ضميري وأسكته .

الفصل الثالث

المشهد الأول

البارونة - فرونتان - ليزيت

البارونة : والآن ، يا فرونتان ! هل أوصيت على طعام العشاء ؟ وهل ستكون الأطعمة فاخرة ؟

فرونتان : [للبارونة] إنني أضمن لك ذلك ياسيدتي . سلى ليزيت كيف أقيم الولايم على حسابي ، واحكمي - بعد ذلك - عما يمكنني أن أعمله عند ما أقيمها على حساب غيري .

ليزيت : [للبارونة] حقاً يا سيدتي ، يمكنك في هذا الاعتماد عليه .

فرونتان : [للبارونة] إن سيدى الفارس ينتظري . إنني ذاهب لأخبره بما تم من إعداد وجبته ، ثم أعود إلى هنا لأستولي على مخدومي الجديد : السيد توركاريه [يخرج]

المشهد الثاني

البارونة - ليزيت

ليزيت : إن هذا الفتي لصاحب براعة يا سيدتي .
البارونة : ويبدو أن البراعة لا تنقصك أنت أيضاً
يا ليزيت .

ليزيت : إنه كثير الحيل .
البارونة : لا أظنك أقل مهارة منه .
ليزيت : سأكون سعيدة يا سيدتي ، إذا تمكنت من
إفادتك بمواهي الضئيلة .

البارونة : إنني راضية عنك ولكن لدى نصيحة
أقدمها لك ، لا أريد أن يتملقني أحد .
ليزيت : إنني عدوة الملق .

البارونة : وحينما أستشيرك خاصة في أمور تتعلق بي
فأصدقيني القول .

ليزيت : لن أقصر في ذلك .
البارونة : ولكنني أجذك مفرطة في مجاراتي .
ليزيت : أنا يا سيدتي ؟

البارونة : نعم ، إنك لا تقاومين العواطف التي
أكنتها للفارس مقاومة كافية .

ليزيت : ولم أقاومها ؟ إنها معتدلة للغاية !

- البارونة : أعترف أن الفارس يبدو أهلاً لكل عطفى .
 ليزيت : وأنا أرى رأيك ، يا سيدتى .
 البارونة : لأنه يهوانى هوى حقيقياً ينطوى على الوفاء .
 ليزيت : فارس وفى مخلص ! إننا لم نعد نرى له
 مثيلاً .
 البارونة : لقد ضحى اليوم من أجل بكونتييسة .
 ليزيت : بكونتييسة !
 البارونة : حقاً ، إنها ليست فى ريعان شبابها .
 ليزيت : وهذا ما يزيد التضحية روعة ، لأننى
 أعرف السادة الفرسان . فالتضحية بسيدة
 عجوز أغلى^(١) عليهم من التضحية بسواها .
 البارونة : لقد قدم لى منذ حين حساباً عن صك
 ائتمنته عليه ، فما أصدقته وآمنه !
 ليزيت : إن هذا لرائع حقاً !
 البارونة : إن أمانته لتبلغ حد الوسوسة .
 ليزيت : ولكن ، ولكن إنه لفارس فريد فى نوعه !
 البارونة : لندع الكلام الآن ، فلأننى ألمح السيد
 توركاريه .

(١) لعب بالألفاظ فكلمة أغل هنا توهم أنها مستعملة لشعورهم ولكن المقصود بها مصالحهم المادية .

المشهد الثالث

السيد توركاريه ، البارونة ، ليزيت

السيد توركاريه : [لبارونة] أثبت يا سيدتي .. [وقد لمح ليزيت]

أوه ، أوه ! ألدبك خادمة جديدة ؟

البارونة : نعم يا سيدى ، ما رأيك فيها ؟

السيد توركاريه : [وهو يتأمل ليزيت] ما رأيى ؟ إنها تعجبني تماماً ، نحب أن نتعارف .

ليزيت : سيتم التعارف بيننا بعد قليل ، ياسيدى .

البارونة : أتعلمين يا ليزيت أننا سنتناول العشاء هنا ؟

مرى الخدم فليجهزوا المائدة بأدوات

أنيقة ، وليسطع الضوء فى أرجاء المنزل .

[يخرج ليزيت]

المشهد الرابع

السيد توركاريه ، البارونة

السيد توركاريه : أعتقد أن هذه الفتاة مناسبة للغاية .

البارونة : لأنها على الأقل غيورة كل الغيرة على مصالحك .

السيد توركاريه : إننى أشكرها على ذلك .. لقد اشتريت

لك ، ياسيدتى ، بعشرة آلاف فرنك

مرآة وأوانى من الصينى وقماشاً . ولأنها

لأشياء رائعة الذوق ، فقد تخبرتها
أنا بنفسى .

البارونة : إنك تحيط بكل شيء علما ياسيدى ،
وتدرك كل شيء تمام الإدراك .

السيد توركاريه : نعم ؛ والله الحمد ؛ ولا سيما فيما يختص
بالبناء ؛ سترين عما قريب المسكن الخاص
الذى سأبنيه .

البارونة : ماذا ! ستبنى منزلا ؟

السيد توركاريه : لقد اشتريت أرض البناء ، وهى تتكون
من أربعة أفدنة وأربعة وخمسين قدما
واحدى عشرة بوصة أليست هذه بالمساحة
الواسعة ؟

البارونة : واسعة جدا .

السيد توركاريه : سيكون البيت رائعا . فأنا لا أريد أن
ينقصه أقل شيء ، وإلا هدمته مرتين
بل ثلاثا .

البارونة : لا أشك فى ذلك .

السيد توركاريه : بالشيطان ! لأننى لا أقبل إطلاقا أن أقدم
على أى عمل سوقى فيسخر منى جميع
رجال الأعمال .

البارونة : بكل تأكيد .

السيد توركاريه : [وهو يرى المركيز يدخل] من هذا الرجل
الذى يدخل هنا ؟

البارونة : [بصوت منخفض] إنه المركيز الذى أخبرتك
من قبل أن مارين قد انحازت إليه
لتدافع عن مصالحه . إننى حقا فى غنى
عن زيارته فهى لا تسرنى فى شيء .

المشهد الخامس

المركيز ، السيد توركاريه ، البارونة

المركيز : [على حدة] أراهن أننى لن أجد الفارس
هنا أيضاً .

السيد توركاريه : [على حدة] يا لله ! إنه المركيز دى
لا تيبودير . . . يا للقاء المزعج !

المركيز : [على حدة] إننى أبحث عنه منذ يومين تقريبا

فلا أجدّه . [وهو يلوح السيد توركاريه]

إيه ! ماذا أرى ! نعم .. لا .. معذرة ..

إى نعم .. إنه هو نفسه السيد توركاريه .

[للبارونة] ماذا تصنعين بهذا الرجل هنا

يا سيدتى ؟ أتعرفينه ؟ أتقترضين منه المال

مقابل رهونات ؟ يا للشيطان ! سيكون

سبباً فى إفلاسك !

البارونة : يا سيدى المركيز

المركيز : [وهو يقاطعها] سينهبك ، سيسلخ جلدك ،
لأننى أنهبك إلى ذلك . إنه أعرق المرايين
يهودية . إنه يبيع فضته بوزن الذهب^(١) .
السيد توركاريه : [على حدة] لقد كان من الأفضل أن
أنصرف من هنا .

البارونة : [للمركيز] إنك على خطأ يا سيدى المركيز .
إن السيد توركاريه يعتبر من أهل الخير
والشرف بين الناس .

المركيز : وهو أيضاً كذلك يا سيدتى : فهو يحب مال
الرجال وشرف النساء . لقد اشتهر بذلك .
السيد توركاريه : إنك تحب الدعابة يا سيدى المركيز . . .
[إلى البارونة] إنه مداعب يا سيدتى ، إنه
مزاح . ألم تكفى تعرفين فيه هذه الصفة ؟
البارونة : نعم ، أفهم تماماً إما أنه يمزح ، أو أن
معلوماته خاطئة .

المركيز : معلوماتى خاطئة ! وحق الله ، يا سيدتى ،
لا يمكن أن يحدثك عنه من هو خير منى ،
إذ أن لديه فى الوقت الحاضر بعض أشياء
كنت استعملها فى زينتى .

(١) هنا لعب لفظى : فكلمة مال الفرنسية argent تعنى أيضاً
الفضة وعليه فالترجمة الحرفية ، إنه يبيع فضته بوزن الذهب .

السيد توركاريه : بعض ما تستخدمه في الزينة ، يا سيدى ؟

أوه ! لأننى على أتم الاستعداد لأن أقسم
أن الأمر على عكس ذلك .

المركيز

: آه ! أقسم أنك على حق . فالماسة - بناء

على اتفاقنا - أصبحت الآن ملكاً لك ؛
فقد تركت الأجل المتفق عليه ينقضى
دون أن أستردها .

البارونة

: اشرحاً لى هذا اللغز .

السيد توركاريه : لا لغز هناك يا سيدتى ، فأنا لا أدرى من

الأمر شيئاً .

المركيز

: [للبارونة] إنه على حق لأن الأمر واضح

كل الوضوح ، ولا لغز هناك . لقد

احتجت منذ خمسة عشر شهراً إلى مال

وكان لدى ماسة قيمتها خمسمائة لويس ؛

فأرسلونى إلى السيد توركاريه فأحالنى السيد

توركاريه على أحد موظفيه ، على المدعو

السيد ر. . . رافل ، الذى يدير مكتبه

لارى . فأقرضنى هذا السيد الأمين « رافل »

على خاتمى ألفا ومائة واثنين وثلاثين ليرة

وستة صولات وثمانى ذنبيات ، وقد حدد

لى أجلاً لدفع المال واستردادها ؛ غير أنى

لست رجلاً دقيقاً في مواعيدى : فمرّ
الأجل وفقدت ماستى .

السيد توركاريه : يا سيدى المركيز ، يا سيدى المركيز ،
أرجوك ألا تخلط بينى وبين السيد رافل ،
إنه لص محتال طردته من أعمالى . وإن
كان قد قام بمناورة خبيثة فأمامك طريق
العدالة ، وأنا لا أعرف شيئاً عن ماستك ،
لم أرها بتاتاً ، ولم تمسسها يدى لإطلاقاً .
المركيز : لقد حصلت عليها من عمى . لقد كانت

من أجمل الماسات وكانت صافية ذات
حجم وشكل يقرب من . . [وهو ينظر إلى
ماسة البارونة] . إيه ! ها هى ذى ياسيدى .
يبدو لى أنك قد حصلت عليها بعد أن
ساومت السيد توركاريه ؟

البارونة : [للمركيز] وهذا خطأ آخر يا سيدى .
لقد اشتريتها بثمن غال من إحدى بائعات
أدوات الزينة .

المركيز : إذن فهو مصدرها أيضاً ، لأن له بائعات
للزينة تحت تصرفه ؛ ومن نفس أفراد
أسرته فيما يقال .

السيد توركاريه : يا سيدى ، يا سيدى !

البارونة : [للمركيز] إنك تهين الناس ، يا سيدى
المركيز .

المركيز : كلا ، يا سيدتى ، لست أقصد إهانة ،
فأنا أبذل كل خدمة للسيد توركاريه
بالرغم من أنه يشتدّ في معاملتى ؛ بل
لقد كان بيننا فيما مضى شىء من صلات
الصداقة ، حين كان خادماً جدّى وكان
يحملنى بين ذراعيه ؛ كنا نلعب سوياً
كل يوم ولا نكاد نفرق . إن منكر
النعمة توركاريه الصغير^(١) لم يعد يذكر
ذلك .

السيد توركاريه : إننى أذكره .. إننى أذكره .. إن الماضى
قد انقضى ، وأنا لم أعد أفكر إلا فى
الحاضر .

البارونة : [للمركيز] أرجوك يا سيدى المركيز ،
لننتقل إلى حديث آخر . أتبحث عن
السيد الفارس ؟

المركيز : إننى أبحث عنه فى كل مكان يا سيدتى ،

(١) أبقينا الترجمة الحرفية لكلمة petit صغير لما تنطوى عليه
من سخرية ، فالمركيز أصغر سنّاً بكثير من السيد توركاريه (المترجم)

فى المسارح والحانات ، والمراقص ،
ونوادى اللعب ، ولا أجده فى أى منها . إن
هذا الخبيث أخذ يسلك سبيل الفساد
وينقلب ماجناً .

البارونة : سألومه على ذلك .

المركيز : عفواً يا سيدى .. أما أنا فلا أنغير . لئنى
أعيش عيشة رتيبة ولا أبرح المائدة ، ويقبل
محلاً « فيت » و « لامورليير »^(١) إطعامى
بالدين لأنهما يعلمان أننى سأرث عما
قريب عمّة لى متقدمة فى السن ، ولأنهما
يدركان تماماً أن لى تحفزاً كبيراً لالتهام
تركها .

البارونة

: إنك زبون لا بأس به للمطاعم .

المركيز

: لا يا سيدى ولا للملتزمين^(٢) أيضاً ،

أليس كذلك يا سيد توركاريه ؟ إلا أن
عمى تريد أن أصلح من سيرتى وأنا
ذاهب إليها الآن على حالى هذه كى
أجعلها تعتقد أن هناك تغييراً فى سلوكى .

(١) مطعمان مشهوران بهاريس فيما مضى (المترجم) .

(٢) هنا لعب بالكلام فكلمة صاحب مطعم بالفرنسية هى

traiteur وكلمة ملتزم الضرائب هى

وستدهش كل الدهشة عندما ترانى بهذه
الرزانة إذ أنها لم تكن ترانى من قبل
إلاّ ثملاً .

البارونة : فعلا يا سيدى المركيز ، إنه لأمر جديد

أن يراك الناس فى حالة أخرى . لقد
كنت مغالياً اليوم فى امتناعك عن الشراب .

المركيز : لقد تعشيت أمس مع ثلاث من أجمل

نساء باريس ، فشربنا حتى مطلع
الشمس ، ثم ذهبنا لأنام قليلا فى منزلى
حتى أستطيع أن أدخل على عمى دون
أن أتناول أى شىء إطلاقاً .

البارونة : حقاً إنك لشديد الحذر .

المركيز : وداعاً يا عزيزتى ، قولى للفارس أن

يذهب إلى أصدقائه بين الفينة والفينة .
أعيريه لنا أحياناً وإلاّ أكرت من التردد
عليك ، لعلّى ألقاه هنا . وداعاً يا سيد
توركاريه . إننى لست حاقداً عليك على
الأقل [وهو يمد له يده] . هيا لتتصافح
ونجدد صداقتنا القديمة . ولكن أرجوك
أن تقول لهذه الروح الشريرة ، لهذا
السيد رافل أن يعاملنى معاملة أكثر

إنسانية في المرة القادمة التي أحتاج إليه
فيها . [يخرج] .

المشهد السادس

السيد توركاريه - البارونة

السيد توركاريه : يا لهذا النوع من المعارف ، ياسيدي . إنه
أكبر مجنون وأكبر كذاب لقيته في حياتي .

البارونة : إنك بكلامك هذا تهتم به كثيرا .

السيد توركاريه : كم تألمت أثناء هذا الحديث !

البارونة : لقد لاحظت ذلك .

السيد توركاريه : إنني لأحب أهل سوء .

البارونة : إنك لعل حق .

السيد توركاريه : لقد فوجئت بسماع الأشياء التي قالها

مفاجأة شديدة فلم أجد القدرة للرد عليه .

ألم تلاحظي ذلك ؟

البارونة : لقد تصرفت تصرفا حكيما ، وقد أعجبت

باتزانك .

السيد توركاريه : أنا مراب ؟ ! ياله من افتراء !

البارونة : إن هذا يخص السيد رافل أكثر مما يخصك

أنت .

السيد توركاريه : أيزعم أنه من الإجرام أن نفرض الناس

على رهون ! إنه من الأفضل أن نقرض
الناس على رهن من أن نقرضهم دون
أى مقابل .

البارونة . : بالتأكيد .

السيد توركاريه : كيف يأتى ويقول أمانى إننى كنت خادم
جده ؟ ليس هناك ما هو أشد كذباً من
هذا الزعم : لم أكن إطلاقاً سوى رجل
أعماله .

البارونة : ولو كان الأمر صحيحاً ، فياله من ذم
حميد ! لقد مضى على ذلك وقت طويل
جداً ! لقد فات أوانه .

السيد توركاريه : نعم ، دون شك .

البارونة : إن هذا اللون من الأقاصيص الحقيرة
لا أثر له إطلاقاً فى نفسى ، فإن لك موقعاً
مكيناً فى فؤادى .

السيد توركاريه : إنه لفضل كبير تمنين به على .

البارونة : إنك لرجل ذو مكانة كبيرة .

السيد توركاريه : إنك لثمزين .

البارونة : إنك لرجل شريف حقاً .

السيد توركاريه : أوه ! لست على شئ من ذلك إطلاقاً .

البارونة : وقد توفرت فيك تماماً مظاهر الرجل

ذى الحسب والنسب ؛ وتصرفاته الكاملة
بحيث لا يمكن أن يتطرق إلى الدهن أنك
لست من طبقة الأشراف .

المشهد السابع

فلامان - السيد توركاريه - البارونة

فلامان : [للسيد توركاريه] - سيدى ! ..

السيد توركاريه : ماذا تريد منى ؟

فلامان : إن هناك من يطلبك .

السيد توركاريه : من ؟ أيها الجلف .

فلامان : هذا السيد الذى تعرفه .. هذا ، هذا

السيد .. فلان ..

السيد توركاريه : السيد فلان ؟

فلامان : إيه نعم ! هذا الموظف الذى تحبه جداً

شديداً : هذا الذى حين يأتى إليك

ليحادثك ، فإنك تخرج الجميع من حضرتك

فى الحال ، لأنك لا تريد أن يصغى

إلى حديثكما أحد .

السيد توركاريه : إنه السيد رافل فيما يبدو ؟

فلامان : نعم هو بالذات ؛ إنه هو نفسه .

السيد توركاريه : إننى ذاهب لمقابلته ، فلينتظرنى !

البارونة : ألم تقل إنك طردته ؟
السيد توركاريه : نعم ، وقد أتى بسبب ذلك ، فهو يسعى
إلى الصلح . إنه في الحقيقة رجل على
جانب من الطيبة ، رجل يمكن أن يوثق
به ، إنني ذاهب لأرى ما يريد .
البارونة : إيه اكلا ، كلا . . [لد فلانان] أحضره
يا فلانان [يخرج فلانان]

المشهد الثامن

توركاريه ، البارونة

البارونة : ستحدث إليه في هذه الغرفة ، أأست
هنا في منزلك ياسيدي ؟
السيد توركاريه : إنك طيبة حقاً ياسيدي .
البارونة : لا أريد أن أزعجكما في حديثكما ، ولذا
أتركك الآن . . على ألا تنسى رجائي
بشأن فلانان .

السيد توركاريه : لقد أصدرت أوامري فعلا وستكونين
راضية تماماً [تدخل البارونة غرفتها]

المشهد التاسع

السيد توركاريه - السيد رافل

السيد توركاريه : ما الموضوع ياسيد رافل ؟ لماذا جئت
لتبحث عني هنا ؟ ألا تعلم أننا نحن نأتى

لزيرة السيدات لا نحب أن نسمع الناس
يحدثونا في الأعمال ؟

السيد رافل : إن أهمية الأمور التي أتيت لأبلغها لك
يجب أن تشفع لي عندك .

السيد توركاريه : ما هي إذن هذه الأشياء الهامة ؟

السيد رافل : أيمكنني أن أتكلم هنا بحرية ؟

السيد توركاريه : نعم تكلم ، فأنا هنا صاحب الأمر .

السيد رافل : [وهو يسحب أوراقاً من جيبه وينظر في كشف] .

أولاً ، إن ابن تلك العائلة الكبيرة
الذي أقرضناه في العام الماضي ثلاثة
آلاف ليرة ، والذي جعلته بناء على
أمرك يوقع على إيصال بتسعة آلاف ،
لما رأى نفسه في حيرة الآن من أجل
تسديد المبلغ ، قد أطلع على هذا الأمر
عمه الرئيس الذي أخذ يعمل على الإضرار
بك متفقاً في ذلك مع جميع أفراد أسرته .

السيد توركاريه : إن هذا العمل لمجهود ضائع ... دعهم في
غيثهم ، فالخوف لا يستولى على هذه
السهولة .

السيد رافل : [بعد أن نظر في كشفه] إن هذا الصراف

الذى ضمنته أنت ،والذى أفلس عن مائتى
ألف لا يكو ...

السيد توركاريه : [وهو يقاطه] لقد أمرته أنا بأن ... إننى
أعرف أين هو .

السيد رافل : لكن إجراءات الدعوى تقام ضدك ،
والمسألة خطيرة ولا بد من التعجيل فيها .

السيد توركاريه : سأدبرها ، فقد أخذت احتياطاتى ، سيتم
كل شئ غداً .

السيد رافل : إننى أخشى أن يكون ذلك بعد فوات الأوان .
السيد توركاريه : إنك شديد الخوف .. هل مررت بهذا
الشاب الذى يسكن بشارع « كانكنهوا »
والذى ألحقته بإحدى الوظائف ؟

السيد رافل : نعم ، يا سيدى ، وهو يوافق على أن
يعطيك عشرين ألف فرنك من أول ربح
يقبضه ، على أن يكون من نصيبه ما يمكن
أن يبقى له من ربح الشركة ، وأن تدافع
عنه إذا ما كشفت تلك المناورة .

السيد توركاريه : إن هذا متفق تماماً مع أصول العمل ،
وليس هناك ما هو أعدل من ذلك ، إن
هذا الشاب عاقل حقاً . قل له يا سيد

رافل بأننى سأحميه فى كل أعماله . هل
هناك أمر آخر ؟

السيد رافل : [بعد أن نظر فى الكشف] إن ذلك الرجل
المديد القامة الجاف العود ، الذى أعطاك
منذ شهرين ألفى فرنك من أجل تعيينه
فى إدارة من إدارات مدينة فالوفى ...

السيد توركاريه : [وهو يقاطعه] : ما أمره ؟

السيد رافل : لقد وقعت له كارثة .

السيد توركاريه : ماذا ؟

السيد رافل : لقد شكروا فى أمانته ، إذ قد سُرِق منه
خمسة عشر ألف فرنك . . إنه فى الواقع
على جانب كبير من الطيبة .

السيد توركاريه : شديد الطيبة ، شديد الطيبة ! إيه ! ولماذا
بحق الشيطان دخل ميدان الأعمال المالية ؟
شديد الطيبة ! شديد الطيبة !

السيد رافل : لقد كتب لى خطاباً مؤثراً للغاية يطلب
منك فيه أن تشمله برحمتك .

السيد توركاريه : ورقة ضائعة وخطاب لا فائدة منه .

السيد رافل : وأن تسعى لكيلا يفصل من عمله .

السيد توركاريه : سأعمل بالأحرى على فصله ، ف تعود الوظيفة
إلى ، وأعين فيها غيره بالثمن نفسه .

السيد رافل : هذا هو رأيي تماماً .

السيد توركاريه : هل أتصرف ضد مصالحى فأستحق بذلك أن أعزل من رئاسة الشركة ؟

السيد رافل : لست أكثر منك تأثراً بشكاوى الحمقى ...
لقد أرسلت له ردّاً على رسالته وأخبرته
في وضوح أنه لا ينبغي له أن يعتمد عليك .

السيد توركاريه : كلا ، وحق الله !

السيد رافل : [وقد نظر مرة أخرى في كشفه] أتقبل
بفائدة ، سبعة في المائة ، مبلغ خمسة آلاف
فرنك جميعها صانع أقفال أمين من
معارفى بعمله واقتصاده ؟

السيد توركاريه : نعم ، نعم ، هذا حسن ، سأقدم له هذه
الخدمة . اذهب وأحضره . سأكون في
منزلى بعد ربع ساعة . وليحضر معه
النقود . هيا ، اذهب .

السيد رافل : [يخطو بضع خطوات ليخرج ثم يعود قائلاً]
لقد نسيت المسألة الرئيسية ، لأننى لم
أدونها في مذكرتى .

السيد توركاريه : ما هى هذه المسألة الرئيسية ؟

السيد رافل : إنه خبر سيفاجئك مفاجأة شديدة : إن
السيدة توركاريه في باريس .

السيد توركاريه : [بصوت خافت] اخفض صوتك يا سيد
رافل ، اخفض صوتك .

السيد رافل : [بصوت خافت] لقد قابلتها أمس في عربة
أجرة مع شاب يتسم بمظهر النبلاء ،
لا تغيب عني ملامح وجهه ، وقد قابلته
في هذا الشارع حين وصلت إلى هنا .
السيد توركاريه : [بصوت خافت] ألم تكلمها ؟

السيد رافل : [بصوت خافت] كلا ، ولكنها أرسلت
إلى ترجوني ألا أحدثك في شيء من
ذلك ، وأن أذكرك فقط أنه قد استحق
لها ، خمسة عشر شهراً من تلك النفقة
التي تبلغ أربعة آلاف ليرة والتي تدفعها
لها ، لتظل مقيمة في الريف ، وهي لن
تعود إلا إذا قبضت هذا المبلغ .

السيد توركاريه : [بصوت منخفض] أوه ! بحق الشيطان !
يا سيد رافل ، ادفعه لها ، لتتخلص من
هذه المخلوقة في أسرع وقت ممكن !
ابعث لها منذ اليوم بمبلغ الخمسمائة بيستول

الذى ستأخذه من صانع الأقفال على أن
ترحل هي غداً .

السيد رافل : [بصوت منخفض] أوه ! إنها لا تطمع في
أكثر من ذلك . إننى ذاهب لأحضّر
الرجل وأصعبه إلى منزلك .

السيد توركاريه : [بصوت منخفض] ستجدنى هناك .
يخرج السيد رافل [

المشهد العاشر

السيد توركاريه

باللحظة ! ستكون مغامرة حمقاء لو خطر
للسيدة توركاريه أن تأتى إلى هذا المنزل ،
لأنها لو فعلت لقصت على اعتبارى لدى
البارونة التى جعلتها تصدق . أننى أرمل .

المشهد الحادى عشر

السيد توركاريه - ليزيت

ليزيت : لقد أرسلتنى سيدتى ، لأرى إن كنت
لا تزال مشغولاً يا سيدى .

السيد توركاريه : إننى لم أكن مشغولاً يا بنية . ولكنها

أمور تافهة تضطرب لها أذهان الموظفين
المساكين الذين لم يخلقوا للأعمال العظيمة .

المشهد الثاني عشر

السيد توركاريه — ليزيت — فرونتان

فرونتان : [إلى السيد توركاريه] إن سرورى لعظيم ،
يا سيدى ، لأننى أجدهك تتحدث إلى هذه
الفتاة اللطيفة ، ومهما بلغ اهتمامى بها ،
فلأننى سأجنب تعكير مثل هذا الحديث
العذب .

السيد توركاريه : إننى لا أعتبر حضورك غير مرغوب فيه .
اقرب يا فرونتان ، فلأننى لأعدك مخلصاً
في خدمتى أتم إخلاص ، وأريد منك
أن تساعدنى في اكتساب صداقة هذه الفتاة .
ليزيت : إن ذلك لن يكون أمراً شاقاً .

فرونتان : [إلى السيد توركاريه] أوه ! أمّا هذا
فلا ! إننى لا أدري أى طالع سعيد
ولدت معه يا سيدى ! فالجميع يميلون
إليك تلقائياً ميلاً شديداً .

السيد توركاريه : ليس مرد هذا للطالع وإنما مرده للتصرفات .

ليزيت : إن تصرفاتك تنطوى على كثير من
الظرف واللباقة .

السيد توركاريه : وكيف تعرفين ذلك ؟
ليزيت : منذ دخلت هذا البيت لم أسمع سيدى
البارونة تتحدث بغير هذا الحديث .

السيد توركاريه : حقاً !
فرونتان : إن هذه السيدة عاجزة تماماً عن إخفاء
هواها لك ؛ إنها تحبك حباً جماً ، سل
ليزيت ، سلها .

ليزيت : أوه ! بل يجب تصديقك أنت يا سيد
فرونتان .

فرونتان : كلا ، فلانى شخصياً لا أفهم كل
ما أعرفه عن هذا الأمر ، والذى يزيد
من دهشتى هو شدة ما وصل إليه هذا
الهوى بالرغم من أن السيد توركاريه
لا يكلف نفسه جهداً كبيراً للعمل على
استحقاق هذا الحب .

السيد توركاريه : ما الذى تعنيه بذلك ؟ ما الذى تعنيه ؟
فرونتان : لقد رأيتك عشرين مرة ، يا سيدى ،
تغفل بعض الأمور . . .

السيد توركاريه : [وهو يقاطعه] أوه ! وحق الله ! ليس

هناك ما أحاسب عليه نفسى فى هذا
الصدد :

ليزيت : أوه ! كلا ؛ فإننى على يقين من أن
سيدى ليس بالرجل الذى يفوت أدنى
الفرص ليدخل السرور على قلوب من
يحبه . والإنسان لا يستحق الحب
إلا بمثل ذلك .

فرونثان : [للسيد توركاريه] ولكن السيد توركاريه
لا يستحق الحب بالقدر الذى أريده له .
السيد توركاريه : وضع إذن فكرتك .

فرونثان : نعم ، ولكن ألا تعدنى مخطئاً حين أستبيح
لنفسى ، وأنا خادم أمين مخلص ، أن
أكلمك بصراحة .

السيد توركاريه : هيا ، تكلم !
فرونثان : إنك لا تقابل بما فيه الكفاية ما تكنه لك
البارونة من حب .

السيد توركاريه : أنا لا أقابله !
فرونثان : كلا يا سيدى ، إنى لأتخذك يا ليزيت
حكماً فى ذلك . [إل ليزيت] إن سيدى
بالرغم من كل ذكائه يقع فى أخطاء
عدم انتباه .

السيد توركاريه : ما الذى تقصده إذن بأخطاء عدم انتباه ؟

فرونثان : إنه نوع من النسيان ، نوع من الإهمال .

السيد توركاريه : ولكن وضح الأمر أكثر من ذلك .

فرونثان : فمثلاً : أليس من الخجل ألا تكون

قد فكرت حتى الآن فى أن تهديها عربية

بجيلها وأتباعها ومتاعها ؟

ليزيت : [للسيد توركاريه] آه ! أما فى هذا فهو على

حق . إن موظفيك يهبون صديقاتهم

عربات .

السيد توركاريه : وما فائدة العربية ؟ أليست هناك عربتي

تتصرف فيها كيف تشاء ؟

فرونثان : أوه ! يا سيدى ، هناك فرق كبير بين

أن يملك الإنسان عربية خاصة به ، وبين

أن يكون مضطراً إلى اقتراض عربات

أصدقائه .

ليزيت : [للسيد توركاريه] إنك لواسع الخبرة بالاجتماع

فكيف يفوتك أن فكرة امتلاك عربية

أكبر تأثيراً على أغلب النساء من لذة

استعمالها .

السيد توركاريه : نعم ، إننى أفهم ذلك .

فرونثان : إن هذه الفتاة لتتصف حقاً بالحكم

السيد ، فهمي على الأقل لا تهرف
بما لا تعرف .

السيد توركاريه : وأنت أيضاً يا فرونتان ، إنني لا أراك
غيباً بالقدر الذي كنت أتصوره في البداية .
فرونتان : إنني أحس منذ أن نلت شرف خدمتك
أن الذكاء يواتيني شيئاً فشيئاً . أوه !
إنني أقدر تماماً أنني سأفيد^(١) كثيراً من
صحبتك .

السيد توركاريه : إن الأمر متوقف عليك وحدك .
فرونتان : أؤكد لك يا سيدي أن صدق العزيمة
لا ينقصني . وإذن ، فستقدم للبارونة
عربة ، عربة جميلة ، كبيرة ، جيدة
التجهيز .

السيد توركاريه : إنها ستحصل على عربة ، إذ أنك على
صواب في آرائك التي اقتنعت بها تماماً .
فرونتان : كنت على يقين من أن المسألة لا تعدو
أن تكون سهواً .

السيد توركاريه : بلا شك ، وإثباتاً لذلك فأنا ذاهب في الحال
لأمر بإعداد عربة .

فرونتان : لا ، يا سيدي ! يجب ألا تظهر أنت

(١) للكلمة هنا معنى مزدوج : سأتحسن معنوياً ويزيد مالي .

في هذه المسألة ! فليس من اللائق أن
يعرف الناس أنك تهب السيدة البارونة
عربة . استعمل وسيطاً ، استعمل غريباً ،
على أن يكون أميناً . فأنا أعرف اثنين
أو ثلاثة من السراجين^(١) ، لم يعرفوا
بعد أنني التحقت بخدمةك ؛ فإذا شئت ،
تكفلت أنا بالاهتمام

السيد توركاريه : [وهو يقاطعه] عن طيب خاطر . يبدو لي
أنك على ذراية كافية ، وأنا أعتمد عليك . .
[وهو يعطيه كيس نقوده] ها هي ذى ستون
بيستولا بقيت في كيس نقودي ، ادفعها
من الحساب .

فرونثان : [وهو يأخذ الكيس] لن أقصر في شيء
ياسيدي ، أما فيما يختص بالخيل فلدى
تاجر ، وهو قريب مزعوم على عادة
أهل بريتانيا ، وسيورد لك جيادا رائعة .
السيد توركاريه : وسيبيعها لي بأعلى ثمن ، أليس كذلك ؟
فرونثان : كلا ، ياسيدي ، سيبيعها لك وفقا لما
يمليه الضمير .

(١) لقد كان السراجون يبيعون عربات مستعملة علاوة على ما كانوا
يصنعونه من عربات جديدة .

السيد توركاريه : ضمير تاجر خيل !
فرونتان : أوه ! إننى أضمنه لك كما أضمن لك
ضميرى تماما .

السيد توركاريه : فى هذه الحالة أقبل أن أشتري منه .
فرونتان : هناك خطأ انتباه آخر . . .

السيد توركاريه : [وهو يقاطعه] أوه ! دعنى من سماع
أخطاء الانتباه . . إن هذا الخبيث سيجر
على الخراب فى نهاية الأمر . . أبلغ السيدة
البارونة من طرفى أن أمرا سأنهيه بعد
هنية يدعونى إلى العودة إلى منزلى .
[يخرج]

المشهد الثالث عشر فرونتان - ليزيت

فرونتان : إنها بداية لا بأس بها .
ليزيت : نعم ، فيما يخص السيدة البارونة ؛ أمّا فيما
يخصنا نحن ؟
فرونتان : ها هى ذى على كل حال ستون بيستولا
يمكننا الاحتفاظ بها . فإننى سأربحها دون
شك من ثمن العربى وملحقاتها ؛ اخفيها :
فهى الدعامة الأولى لعشنا .
ليزيت : نعم ، ولكن يجب البناء سريعا فوق هذه

الدعامة ، إذ أننى أخذت أتأمل تأملات

- أخلاقية ، لأننى أنبهك إلى ذلك .

: أيمكننى أن أعرف هذه التأملات ؟

: لأننى أشعر بالسأم من الخدمة .

: كيف ، وحق الشيطان ! هل أصبحت ذات

طموح ؟

: نعم ، يا بنى . لا بد أن الهواء الذى يتنسمه

المرء فى بيت يتردد عليه رجل أعمال ثرى ،

لا يوحى إطلاقا بالتواضع ، لقد أخذت

تخطر لى منذ ذلك الوقت القصير الذى

أنفقته فى هذا المنزل خواطر عظيمة لم

تكن تخطر لى إطلاقا قبل ذلك . عجل

واجمع المال ، وإلا فمهما كانت العهود

التي بيننا وثيقة ، فإن أول صعلوك غنى

يأتى ليعرض على الزواج

: [وهو يقاطعها] ولكن أعطينى الوقت لأغتنى .

: لأننى أعطيك ثلاث سنوات ، وفى هذا

ما يكفى رجلا ذكيا .

: لأننى لا أطلب أكثر من ذلك . . . ففى

هذا ما يكفى يا أميرتى . لن أدخر جهدا

لأستحقك ، وإن فاتنى التوفيق ، فلن يكون

فرونتان

ليزيت

فرونتان

ليزيت

فرونتان

ليزيت

فرونتان

سبب ذلك هو تقصيرى فى عدم الوقوع
فى أخطاء الانتباه .

[يخرج]

المشهد الرابع عشر

ليزيت [وحدها]

لن أستطيع أن أمتنع عن حب فرونتان ،
لأنه فارسى أنا ، وإن الطريق الذى أخذ
يسلكه ، كما أرى ، ليؤدى إلى بآننى
سأصبح ذات يوم مع هذا الفتى سيّدة
وجهة .

الفصل الرابع

المشهد الأول

الفارس — فرونتان

الفارس : ماذا تصنع هنا ؟ ألم تقل لي أنك ستعود إلى الصراف ؟ ألم تجده في منزله هذه المرة أيضاً ؟

فرونتان : معذرة يا سيدي ، ولكن لم يكن لديه مال سائل ، لم يكن لديه المبلغ كاملاً ، وقد طلب مني أن أعود إليه هذا المساء ، فإن شئت أعدت لك الصك يا سيدي .

الفارس : هيه ! أبقيه معك ، فإذا تريد أن أصنع به ؟ هل البارونة هنا في غرفتها ؟ وماذا تفعل ؟

فرونتان : إنها تتحدث إلى ليزيت عن عربة سأوصي بها لها ، وعن بيت زيفي يعجبها ، وتريد أن تستأجره إلى أن أمكنها من امتلاكه .

الفارس : عربة وبيت زيفي ؟ يا للجنون !

فرونتان : نعم ، ولكن كل ذلك سيكون على نفقة

السيد توركاريه . فيا للحكمة !

الفارس : إن هذا ليغير الأمر تماماً .

فرونتان : لم يكن هناك إلا شيء واحد يضايقها .

الفارس : وما هو ؟ .

فرونتان : أمر ضئيل تافه .

الفارس : قل لي إذن ما هو ؟

فرونتان : يجب تأثيث هذا المنزل الريفى ؛ ولم تكن

تدرى كيف تدفع السيد توركاريه إلى

القيام بذلك ؛ ولكن العبقريّة الممتازة التى

وضعتها بقربه تكفلت بهذه المهمة .

الفارس : وكيف ستتصرف فى هذه المسألة ؟

فرونتان : سأحضر خبيثاً عجوزاً من معارفى يساعدنا

على الحصول على عشرة آلاف فرنك

وهو المبلغ الذى نحتاج إليه لتأثيث منزلنا .

الفارس : هل تدبرت حيلتك تدبراً كافياً ؟

فرونتان : أوه ! نعم ، يا سيدى ، إننى جدّ بارع

الانتباه . إن كل ذلك فى رأسى فلا تحمل

أى عناء . فلإن سنداً صغيراً مزعوماً ، ...

وصكاً مزيفاً من كاتب محكمة ...

الفارس : [وهو يقاطعه] ولكن تنبه ، يا فرونتان ،

فإن السيد توركاريه خبير تماماً بالأعمال .
 فرونتان : إن خبيثي المعجوز يفوقه بدوره في فهمه
 لها . إنه لأمر وأذكي كاتب (١) .
 الفارس : إن الأمر ليختلف إذن .
 فرونتان : لقد وجد له دائماً ملاذاً في منازل
 السلطان بسبب مثل هذه الوثائق .
 الفارس : لم يعد لدى ما أوصيك به .
 فرونتان : إني أعرف تماماً أين أجده ، وستكون
 حيلنا معدة بعد قليل . وداعاً . ها هوذا
 السيد المركيز يبحث عنك . [يخرج]

المشهد الثاني

المركيز - الفارس

المركيز : آه ! وحق الله ، لقد أصبحت لا ترى
 إطلاقاً أيها الفارس ، فلماذا لا نجدك في
 أي مكان . إنني أبحث عنك منذ أربع

(١) كاتب : إن الكتاب المحلفين والنساخين كانوا يكونون طائفة
 مزدهرة قبل اختراع المطبعة ، وقد أعادوا في ذلك العهد تنظيم مهنتهم
 على صورة جماعة نموذجية يديرها نقيب يغاونه أربعة وعشرون معلماً ؛
 ولكن الحديث هنا - دون شك - عن كاتب غير محلف .

وعشرين ساعة لاستشيرك في مسألة عاطفية .

الفارس : إيه ! ومنذ متى تتدخل أنت في مثل

هذه الأمور ، أنت ؟ !

المركز : منذ ثلاثة أيام أو أربعة .

الفارس : واليوم فقط تعترف لي بذلك لأول مرة !

حقاً لقد أصبحت كتوماً .

المركز : ليذهب الشيطان بروحي ، إن كنت قد

فكرت في ذلك . إن المسائل العاطفية

لا تسيطر على قلبي إلا بقدر ضئيل جداً

كما تعلم . إنما صيد جاءني عرضاً ، وأنا

أحتفظ بها لمجرد التسلية ، وأتخلص منها

عن نزوة أو ربما عن عقل .

: إنه لهُوى جميل !

الفارس

: يجب ألا نشغل جدّياً بملذات الحياة .

المركز

إنني لا أكرث بشيء . لقد أعطتني

صورتها فأضعفها ، وربما شئت غيري نفسه

من أجل ذلك ، أما أنا فلا أهتم بالأمر

أكثر من ذلك [ومو يأن بحركة من يشير إلى

شيء تائه] أما أنا فلا أهتم بالأمر أكثر

من ذلك .

الفارس : إن المشاعر التي من هذا النوع تجعلك

دون أدنى ريب معبود النساء ... ولكن ،

قل لي ، بحقك من هذه المرأة ؟

: إنها امرأة من الأعيان ، كونييسة من
الريف كما قالت لي .

المركيز

: إيه ! ومتى قمت بهذه الغزوة ؟ فأنت

الفارس

عادة تنام طيلة النهار وتشرب طيلة الليل .

: أوه ! كلا ، كلا ، أرجوك ، إن هناك

المركيز

في عصرنا هذا أوقاتاً نقضيها في الحفلات

العامة الراقصة ، وفيها نجد فرصاً طيبة .

: أى أنك تعرفت عليها في مرقص عام ؟

الفارس

: هذا صحيح ، لقد ذهبت إلى حفل منذ بضعة

المركيز

أيام ، وقد كنت تحت سورة النبل

قليلاً ، وكنت على استعداد للتابعة أى

شيء أبداه ، فأخذت أنحرس بالأقنعة

الجميلة . وحين لحت هيئة وقواماً

وعنقاً جميلاً وردفين ملفوفين ...

دنوت منها ورجوت ، وألححت ،

فنزلت السيدة عند رغبتى وخلعت

قناعها ، فرأيت امرأة ...

: [وهو يقاطعه] شابة دون شك ؟

الفارس

: كلا ، بل متقدمة في السن إلى حد ما .

المركيز

- الفارس : ولكنها لا تزال جميلة ومن أطف النساء ؟
 المركيز : لم تكن غاية في الجمال .
 الفارس : إن الحب ، فيما أرى ، لا يعميك .
 المركيز : لأنني أعطى المحبوبة حقها .
 الفارس : أهى إذن ذكية ؟
 المركيز : أما فيما يخص الذكاء ، فهي آية من آياته !
 يا للخواطر المتتابعة ! يا للخيال ! لقد
 روت لي أشياء كثيرة لا يكاد العقل
 يصدقها ، فسحرتني تماماً .
 الفارس : وماذا كانت نتيجة المحادثة ؟
 المركيز : لقد صحبتها إلى منزلها مع كل أتباعها
 وعرضت عليها خدماتي ، وإذا بالعجوز
 المحنونة تقبل هذا العرض .
 الفارس : وهل رأيتها بعد ذلك ؟
 المركيز : لم أكد أستيقظ مساء اليوم التالي حتى
 ذهبت إلى منزلها .
 الفارس : وإنه لمنزل موثث^(١) ، دون شك ؟
 المركيز : نعم ، إنه موثث .
 الفارس : وماذا حدث إذن ؟

(١) ترجمة Hôtel garni : يعنى أنه ليس منزلاً ملكاً ، بل استأجرته
 بأثاثه ، وفي هذا خطأ من قدرها .

المركيز : حسناً ! حديث ينطوى على الحيوية وأعمال
جنونية جديدة ، وتأكيدات للود من
جانبي وردود حارة من جانبها ، ثم أعطتني
تلك الصورة اللعينة التي فقدتها أول أمس ،
ولم أرها بعد ذلك . لقد كتبت لي فرددت
عليها وهي تنتظرنى اليوم ، غير أنى لأدرى
ماذا يجب أن أعمل ، أأذهب أم لا ؟
ما الذى تنصحنى به ؟ لأننى أبحث عنك
لأستشيرك فى ذلك .

الفارس : إن من غير اللائق ألا تذهب إليها .
المركيز : نعم ! ولكن إذا ذهبت إليها فإن ذلك يبدو
تسرعاً كبيراً منى . إن الموقف لدقيق ،
لأن إظهار مثل هذا التسرع يعد سعيًا
وراء امرأة ، وهذا أمر قريب جداً مما
يفعله أهل الطبقة الوسطى ، فما رأيك ؟

الفارس : لكى أتمكن من أن أسدى إليك النصيح
فى هذا الأمر يجب أن أتعرف بهذه السيدة .
المركيز : يجب أن أعرفك بها ، وأريد أن أدعوك إلى
تناول العشاء هذا المساء بمنزلها مع بارونتك .
الفارس : لن أستطيع قبول الدعوة هذا المساء ،
إذ أننى أقدم العشاء هنا لبعض المدعوين .

المركيز : أتقدم العشاء هنا ؟ سأحضر لك صيدى .

الفارس : ولكن البارونة

المركيز : [وهو يقاطعه] أوه ! إن البارونة ستفق

تماماً مع هذه السيدة ، بل من المستحسن
أن تتعارفا ، وسنلعب أحياناً نحن الأربعة
الورق معاً .

الفارس : ولكن ألا تجد الكونتيسة حرجاً في أن تأتى

معلك بمفردها إلى منزل ؟

المركيز : إن كونتيسى ليست متصعبة ، إنها سيدة

تعرف كيف تعيش ، وقد تخلت تماماً
عما يلقى التعليم في روعنا من وساوس
وأوهام .

الفارس : حسناً ! أحضرها ، وسترتاح نفوسنا

لذلك .

المركيز : أما أنت ، فستسحر بها . يا للتصرفات

الظريفة ! سترى امرأة كلها حيوية
ونشاط ، ساهية ، طائشة تعرف كيف
تلهو ، وملوثة دائماً بآثار التبغ " إن
الإنسان لا يمكن إطلاقاً أن يعدها من
أهل الريف .

(١) كانت عادة تعاطى تبغ السعوط (الشرق) شائعة في ذلك العهد

الفارس : إنك لترسم لها صورة جميلة ! سئري
مدى قدرتك على التصوير والإفراط
في المدح .

المركيز : لأنني ذاهب لأحضرها . إلى اللقاء أيها
الفارس .

الفارس : لأنني خادملك ، أيها المركيز [يخرج المركيز]

المشهد الثالث

الفارس

إن هذا الصيد الساحر الذي قام به
المركيز ، قوامه فيما يبدو كونتيسة كتلك
التي ضحيت بها من أجل البارونة .

المشهد الرابع

البارونة - الفارس

البارونة : ما الذي قصته هنا وحدك ، أيها

الفارس ؟ كنت أظن أن المركيز معك .

الفارس : [ضاحكا] لقد خرج منذ برهة قصيرة ،

ياسيدي ... ها ، ها ، ها !

البارونة : ما الذي يضحكك ؟

الفارس : إن هذا المركيز المجهنون يعشق امرأة من

الريف ، يعيش كونييسة تقيم في غرفة
مفروشة . لقد ذهب إلى منزلها ليصحبها
إلى هنا . إننا سنلهمها حقاً !

البارونة : ولكن أخبرني أيها الفارس ، هل دعوتهما
إلى العشاء ؟

الفارس : نعم ، ياسيدي ، فزيادة الضيوف تزيد
في المتعة . يجب أن نسلي السيد
توركاريه ، ونرفه عنه .

البارونة : إن وجود المركيز لن يكون تسليية طيبة
له . ألا تعلم أن كلا منهما يعرف الآخر ،
والود بينهما مفقود . لقد وقعت بينهما
مشاجرة هنا منذ قليل

الفارس : [وهو يقاطعها] إن ملاذ المائدة تصلح
كل أمر . ولعل العداوة بينهما لم تبلغ
حداً يتعذر معه أن نصلح بينهما . إنني
أتكفل بالأمر ، فاعتمد على ،
فتوركاريه رجل تجوز عليه الغفلة .

البارونة : [وهي ترى السيد توركاريه يدخل] اسكت ،
أظن أنه قادم ... وأخشى أن يكون قد
سمعك .

المشهد الخامس

السيد توركاريه - البارونة - الفارس

الفارس : [للسيد توركاريه وهو يمانقه] إن السيد توركاريه يسمح دون شك أن أعانقه ، وأعبر له عن شدة سرورى بعد قليل حين أكون بصحبته وفى يدي كأس .

السيد توركاريه : [حائرا] إن سرور هذه المتعة .. ياسيدى ، سيكون .. ياسيدى ، حقا .. متبادلا . إن الشرف الذى أناله من استقبال ضيوف من جهة .. وقد أضيف إليه الغبطة التى أجدّها من الجهة الأخرى .. [وهو يشير إلى البارونة] مع سيدتى .. تجعلنى حقا .. أوكد لك .. أننى .. مسرور للغاية بهذه الحفلة .

البارونة : إنك ستقوم بدورك بمدايح ، ياسيدى ، يتورّط أيضا بسببها سيدى الفارس ، ولن تنبها إطلاقا من ذلك .

الفارس : [للسيد توركاريه] إن قريبتى لعلى حق ، فلندع الكلفة بيننا ، ولنقصر تفكيرنا على اللهو والسرور . أتحب الموسيقى ؟

السيد توركاريه : أتسألني عما إذا كنت أحبها ! لأنني
مشارك في الأوبرا .

الفارس : لأنها الهوى السائد لدى الطبقات الراقية
في المجتمع .

السيد توركاريه : لأنها هواي .

الفارس : إن الموسيقى تهز العواطف .

السيد توركاريه : جدا ! إن صوتا جميلا يسانده بوق ،
يلقي بالإنسان في أعذب الأحلام .

البارونة : ما أحسن ذوقك !

الفارس : [للسيد توركاريه] نعم ، حقا . ما أشد

غباتي ، لأنني لم أفكر في هذه

الآلة ! . . [وهو يهيم بالخروج] أوه !

وحق الله ! مادمت تهوى البوق فسأذهب

بنفسي لأصدر أوامري . .

السيد توركاريه : [وهو يستوقفه] لأنني لن أقبل هذا ياسيدي

الفارس ، فن أجل بوق لا أريد أن . .

البارونة : [بصوت منخفض للسيد توركاريه] دعه يذهب

ياسيدي [يخرج الفارس]

المشهد السادس

السيد توركاريه — البارونة

البارونة : إذا أمكننا أن نكون معاً بمفردنا بضع لحظات

فلتجنب وجود المكدرين بقدر الطاقة .

السيد توركاريه : إنك تحبيني أكثر مما أستحق ، ياسيدتي .

البارونة : من ذا الذي يستطيع ألا يحبك ؟ لقد
شعر قريبي الفارس نفسه نحوه دائما بالود ...

السيد توركاريه : [وهو يقاطعها] إنني أشكره على ذلك
كل الشكر .

البارونة : وهو يهتم تماما بكل ما يمكن أن يعجبك ...

السيد توركاريه : [وهو يقاطعها] إنه يبدو فتى على جانب
كبير من الطيبة .

المشهد السابع

ليزيت - البارونة - السيد توركاريه

البارونة : ما هناك ، يا ليزيت ؟

ليزيت : إن رجلا يرتدى حلة رمادية اللون تميل

إلى السواد وقبعة قذرة ، وله شعر

مستعار عتيق [بصوت خافت] إنه أثاث

البيت الريفي .

البارونة : دعوه يدخل .

المشهد الثامن

السيد فوريه - فرونتان - السيد توركاريه - البارونة - ليزيت

السيد فوريه : [إلى البارونة وليزيت] من منكما يا سيدتي

صاحبة المنزل ؟

البارونة : أنا صاحبة . فماذا تريد ؟
السيد فوريه : لن أجيب ، ياسيدتي ، دون أن أتشرف ،
بادئ ذي بدء بتوجيه التحية إليك ، وإلى
كل هذه الجماعة الكريمة مصحوبة
بالاحترام الواجب اللازم .
السيد توركاريه : [على حدة] إنه لرجل مضحك وفريد في
نوعه !

الليزيت : دون كل هذه الرسميات ، قل لنا ،
ياسيدتي ، أولا ، من أنت ؟
السيد فوريه : [لليزيت] لاني في خدمتك : محضر ذو
محصرة وأدعى السيد فوريه .
البارونة : محضر في بيتي !

فرونجان : إن هذا الأمر ينطوي على القحة حقا !
السيد توركاريه : أتريدني ، ياسيدتي ، أن ألقى بهذا الأفك
من النافذة ؟ فهو ليس أول خبيث . . .
السيد فوريه : [وهو يقاطعه] رويدا ، رويدا ، ياسيدتي !
إن أمثالي من المحضرين الأمناء ليسوا
معرضين لمثل هذه المغامرات . فأننا أقوم
بأعباء وظيفتي المتواضعة بطريقة جد
مهذبة حتى إن جميع الأعيان ليسرهم أن

يتسلموا إعلانات المحاكم من يدي
[وهو يسحب ورقة من جيبه] وها هو
ذا إعلان ، وسيكون لي الشرف لو تكبرمت
وسمحت لي ، ياسيدي ، بأن أقدمه باحترام
إلى السيدة . . . بإذن منك ياسيدي .

البارونة : إعلان محكمة لي ؟ [إل ليزيت] انظري
مابه ، يا ليزيت .

ليزيت : أنا ، ياسيدي ، لأفهم شيئاً في ذلك ،
ولا أعرف إلا قراءة الرسائل العاطفية . . .

[إل فرونتان] انظر أنت ، يا فرونتان .
فرونتان : لأنني لأفهم بعد ، أمثال هذه الأعمال .

السيد فوريه : [للبارونة] إن الموضوع هو التزام ، كان
السيد البارون «بوركاندورف» ، زوجك . . .

البارونة : [وهي تقاطعه] المرحوم زوجي ، ياسيدي ؟
إن هذا لا يعنيني ، لقد تخليت عن الشركة (١)

السيد توركاريه : على هذا الأساس لم يعد هناك ما يربطك به .
السيد فوريه : معذرة ياسيدي ، فللصك موقع عليه من

سيدتي . . .

السيد توركاريه : الصك إذن بالتضامن ؟
السيد فوريه : نعم ياسيدي ، متضامن فيه جداً ، بل يضم

(١) في نظام الزواج ببعض البلاد يقصد بها الشركة في الأموال .

إقرارا بكل ما اشترى من البدائن ...
سأقرأ عليك شروطه ، فقد وردت في
إعلان المحكمة .

السيد توركاريه : لئلا ما إذا كان المحرر القضائي مطابقا
للقانون .

السيد فوريه : [بعد أن وضع نظارته على عينيه ، يقرأ] أمام
ألخ ... حضر بنفسيهما السيد الرفيع القادر
جورج جيوم دي پوركاندورف والسيدة
آنييس ايلدجوند دي لا دولانفيلير زوجته ،
وقد منحها حق توقيع هذه الشروط ،
واعترفا بأنهما مدينان لإيلوا جيروم
يوسيف تاجر الخيول بمبلغ عشرة آلاف
ليرة ...

البارونة : [وهي تقاطعه] عشرة آلاف ليرة !

ليزيت : يا للالتزام اللعين !

السيد فوريه : [وهو يواصل قراءة المحرر القضائي] لعربة

وملحقاتها وردها يوسيف المذكور ، وهذه

الملحقات تتكون من اثني عشر بغلا

وخمسة عشر فرسا نورمانديا بشعر أصهب

وثلاثة بغال صغيرة من « الأوفيرني » ،

وهي جميعا بشعرها وآذانها مجهزة ببرادعها

وسروجها ولحمها وأزمته...
ليزيت : [ومى تقاطعه] لجم وأزمة ! أمن شأن
سيده أن تدفع ثمن مثل هذه الأشياء ؟
السيد توركاريه : لنتركه ولا نقاطعه . [إلى السيد فوريه]
استمر يا صاحبي .

السيد فوريه : [وهو يواصل قراءة المهرر القضائي] « وقد
خصص المدينان المذكوران ، لتسديد
مبلغ عشرة آلاف الليرة السابقة وقدمتا
ضماناً للسداد ، جميع ممتلكاتهما الحالية
والمستقبلية عموماً دون تقسيم ولا تفرقة ،
متنازلين عن الحقوق المذكورة^(١) . وقد
اتخذوا مقرأ مختاراً لتنفيذ الشروط الحالية
لدى مكتب أينوسان بلير لوجوست المدعى
العام السابق بالشاتليه الساكن بشارع
« نهاية العالم » . تحرر وأبرم الخ... »
فرونثان : [السيد توركاريه] هل هذا الإعلان القضائي
قانوني يا سيدي ؟

السيد توركاريه : لا أجد اعتراضاً عليه سوى المبلغ .
السيد فوريه : سوى المبلغ ، يا سيدي ! أوه ! ليس

(١) حقوق التقسيم والنقاش التي كانت تسمح للمدينين بافتراق أحدهما
عن الآخر .

هناك ما يعترض به على المبلغ فقد ذكر
بكل وضوح .

السيد توركاريه : [للبارونة] إن هذا لما يثير الأسف حقاً !
البارونة : كيف يكون مثيراً للأسف ! أيجب حقاً
أن يكلفني مجرد توقيعي على العقد مبلغ
عشرة آلاف ليرة ؟

ليزيت : ها هي ذى نتيجة الإفراط في التساهل مع
الأزواج . ألن ترجع النساء إطلاقاً عن
هذا الضعف ؟

البارونة : يا للظلم ! . . . [إل السيد توركاريه]
ألا يمكن الطعن في هذا المحرر القضائي
يا سيد توركاريه ؟

السيد توركاريه : لا أجد فيه منفذاً للطعن . لو لم تتنازلى
صراحة في العقد عن حقوق القسمة
والرجوع لأمكننا محاكمة هوسيف
المذكور .

البارونة : يجب إذن أن أستسلم وأدفع ، ما دمت تحكم
على بذلك ، يا سيدى . إننى لا أستأنف
إطلاقاً قراراتك .

فرونتان : [بصوت خافت للسيد توركاريه] ما أشد
امتنالها لأرائك !

البارونة : [السيد توركاريه] إن ذلك لسوف يضيّق على
قليلاً وسيحول صرف الصك لأمر حامله ،
الذى تعرفه ، عن الهدف الذى كنت قد
قدرته له .

ليزيت : هذا لا يهم ، يا سيدتى ، لن دفع المبلغ
ونتجنب بذلك قضية نخالف فيها رأى السيد
توركاريه .

البارونة : حاشى أن أخالف له رأيا ! إننى أفضل
أن أبيع الحلى والأثاث ولا أخالف له أمراً .

فرونتان : [بصوت خافت إلى السيد توركاريه] تبّيع
أثاثها وحليها ، وهذا كله من أجل عربة
زوجها ! يا للمرأة المسكينة !

السيد توركاريه : [للبارونة] كلا ، يا سيدتى ، لن تبّيع
شيئاً . إننى أنكفل بهذا الدين ، وسيصبح
شغلى الشاغل فى الحال .

البارونة : إنك لتمزح ! لقد قلت لك إننى سأستعمل
هذا الصك فى سداد المبلغ المطلوب .

السيد توركاريه : يجب الاحتفاظ به لاستغلاله فى أمر آخر .
البارونة : كلا يا سيدى ، كلا ، إن كرم تصرفاتك
يوقعنى فى حيرة أشد على من هذه
المسألة نفسها .

السيد توركاريه : لنضع الحديث في ذلك يا سيدتى ، إننى
ذاهب توجاً لأدبر الأمر .

فروننتان : يا للنفس الكريمة ! . . . [إلى السيد فوريه]
اتبعنا أيها الحاجب ، سندفع لك المبلغ
المطلوب .

البارونة : [للسيد توركاريه] لا تتأخر على الأقل ،
وتذكر أننى فى انتظارك .

السيد توركاريه : سأكون قد انتهيت من هذه المسألة بسرعة
ثم أعود من الأعمال إلى المسرات .
[يخرج مع السيد فوريه وفروننتان]

المشهد التاسع

البارونة — ليزيت

ليزيت : [على حدة] سنصداك وحق كلمتى عن
اللهولندك إلى العمل ! يا للسيد فوريه
وفروننتان من خبيثين ماكرين ! ويا للسيد
توركاريه من رجل يخدع فى سهولة ويسر !
البارونة : يبدو لى أنه يتجاوز الحد كثيراً فى ذلك
يا ليزيت .

ليزيت : حقاً ، فالإنسان الذى يوقعه فى الشرك
لا يعتبر شديد البراعة .

للبارونة : هل تعلمين أننى بدأت أشفق عليه ؟

ليزيت : ليدمنى الموت يا سيدتى ! دعى عنك المبالغة

فى شفقة لاجل لها ، ولنكفّ عن الإشفاق
على رجل لا يرحم أحداً .

البارونة : إننى لأشعر بالرغم منى بوساوس تتحرك

فى أعماق نفسى .

ليزيت : يجب خنقها .

البارونة : إننى لأجد صعوبة فى التغلب عليها .

ليزيت : إن الوساوس لم يحن وقتها بعد ، ومن

الأفضل أن يشعر الإنسان يوماً بالندم لأنه

أفلس رجل أعمال ، من أن يشعر بالأسف

لأنه ترك الفرصة تفلت من يده دون

أن ينتهزها .

المشهد العاشر

جاسمان — البارونة — ليزيت

جاسمان : [إل البارونة] إن بالبواب امرأة من طرف

السيدة « ذوريمن » .

البارونة : أدخلها . [يخرج جاسمان]

المشهد الحادى عشر

البارونة — ليزيت

البارونة : لعلها قد بعثت إلى رسولا لتقترح على
الاشتراك فى حفلة ، ولكن ..

المشهد الثانى عشر

مدام جاكوب — البارونة — ليزيت

مدام جاكوب : [للبارونة] معذرة ياسيدتى ، للحرية التى
سمحت بها لنفسى . لأننى بائعة أتردد على
المنازل وأدعى مدام جاكوب ، وأتشرف
أحيانا ببيع الدانتلا وجميع أنواع المراهم
لمدام دوريمن ، وقد أخبرتها بأن فرصة طيبة
ستتاح لى قريبا ، ولكن المال ينقصها حاليا ،
ثم أبلغتنى أن هذه الفرصة ربما تناسبك
أنت ياسيدتى .

البارونة : وما هى هذه الفرصة ؟

مدام جاكوب : لأنها إكليل لتزيين الشعر ثمنه ألف وخمسمائة
ليرة تريد لإحدى مزارعات « ريجرا » أن
تبيعه . لأنها لم تستعمله إلا مرتين ، غير

أنها زهدته ، فهي تراه عاديا جدا ، وتريد
التخلص منه .

البارونة : لا يسوءنى أن أقضى هذا الإكليل .
مدام جاكوب : سأحضره لك فور حصولى عليه وسأبيعه
لك بثمان زهيد .

ليزيت : إنك لن تخسرى شيئا ؛ فسيدي كريمة .
مدام جاكوب : لأننى لا أعمل فمحسب من أجل المنفعة
المادية . فلدى - ولله الحمد - مواهب
أخرى غير بيع أدوات الزينة فى المنازل .
البارونة : لأننى على يقين من ذلك .
ليزيت : [لمدام جاكوب] وإن ذلك ليبدا على
مظهرك .

مدام جاكوب : إيه ! حقا ، لو لم تكن لدى موارد أخرى
لما استطعت أن أقوم بتربية أولادى التربية
اللائقة التى تخيرتها لهم . نعم ، لى زوج
ولكنه لا يقوم إلا بزيادة عدد أفراد
الأسرة دون أن يساعدنى على النهوض
بأعبائها .

ليزيت : هناك أزواج كثيرون يفعلون عكس ذلك
تماما .

البارونة : ما الذى تعملينه إذن ، يامدام جاكوب

لتقومى وحدك بالإيفاق على أسرتك ؟

مدام جاكوب : إننى أزوج الناس ، ياسيدتى الطيبة !
نعم إنها زيجات شرعية ، وهى لا تدرّ
ربحاً مثل العلاقات الأخرى ، غير أنى
فى الواقع لا أريد أن أقوم بعمل شئ
ألوم عليه نفسى .

ليزيت : هذا حسن جدا .

مدام جاكوب : لقد زوجت منذ أربعة شهور فارسا شابا
من أرملة مراقب بحسابات الحكومة .
فياله من زواج جميل ! إنهما يدعوان
الناس للطعام كل يوم ويأكلان تركة
مراقب الحسابات وهما على خير حال !
ليزيت : إن هذا الزواج موفق تماما .

مدام جاكوب : إن جميع الزيجات التى أعقدها موفقة . .
[إلى البارونة] وإذا كانت سيدتى ترغب
فى الزواج فلدى رجل من خير الناس .

البارونة : لى أنا ، يامدام جاكوب !

مدام جاكوب : إنه من أثرياء مقاطعة الليموزين .
وياله من زوج مطواع ! سترك زوجة
تقوده كما لو كان من أبناء باريس .

ليزيت : [البارونة] إنها أيضا لفرصة طيبة ،
يا سيدتي .

البارونة : إنني لا أشعر إطلاقا بأى استعداد للإفادة
منها ، ولا أرغب فى الزواج بهذه السرعة ؛
إذ أننى لم أسأم الناس بعد .

ليزيت : [إلى مدام جاكوب] أوه ! حسنا ! أما أنا
فعلى استعداد للزواج يا مدام جاكوب ،
فبيدي اسمى فى كشوفك .

مدام جاكوب : إن لدى مايناسبك — إنه موظف ضخيم (١) ،
وقد جمع حتى الآن بعض المال ، ولكن
ليس لديه من يبسط عليه حمايته ؛ وهو
يبحث عن امرأة جميلة لهذا الغرض .
ليزيت : ياله من زوج صالح ! إن هذا هو الذى
يناسبنى .

البارونة : [إلى مدام جاكوب] لا بد أنك غنية
يا مدام جاكوب ؟

مدام جاكوب : يا للأسف ! يا للأسف ! كان ينبغي لى
أن أظهر بمظهر لائق فى باريس . . كان
يجب أن تكون لى عربة خاصة ؛ يا سيدتي

(١) هكذا ترجمنا كلمة gros التى تعنى بدين وعظيم الشأن فى نفس
الوقت لننقل ما تنطوى عليه من لعب بالكلام .

العزيزة ، تلبق بى كشقيقة لأحد رجال
الأعمال

البارونة : ألك أخ من رجال الأعمال ؟
مدام جاكوب : وهو من كبار رجال الأعمال أيضاً !
لانى أخت السيد توركاريه ، ما دمت
مضطرة أن أفضى إليك بهذا الأمر ...
لا بد أن تكونى قد سمعت به ؟

البارونة : [بهشة] أنت أخت السيد توركاريه ؟
مدام جاكوب : نعم يا سيدتى ، لانى أخته ، ومن أبيه
وأمه أيضاً .

ليزيت : [فى دهشة أيضاً] هل السيد توركاريه أخوك
يا مدام جاكوب ؟

مدام جاكوب : نعم ، إنه أخى ، أخى تماماً ، ولست من
أجل ذلك سيدة أعظم شأناً مما أنا عليه ...
لانى أراكما فى دهشة كبيرة . وسبب ذلك
دون ريب أنه يتركنى أعانى وحدى كل
ما أتحملة من تعب .

ليزيت : إيه نعم ! إن هذا هو ما يثير دهشتنا .
مدام جاكوب : إنه ليقدم على ما هو شر من ذلك ،
يا لشدة عقوقه ! لقد حرّم على دخول
منزله ، ولا يعرف قلبه الشفقة ؛ ولذلك

لم يشأ أن يلحق زوجى بأى عمل من
الأعمال .

البارونة : إن هذا ليستدعى الانتقام منه .

ليزيت : [لمدام جاكوب] آه ! بنس الأخ !

مدام جاكوب : إنه أخ سيى كما هو زوج سيى سواء
بسواء . ألم يطرد زوجه من منزله ؟ !

البارونة : ألم يكونا إذن على وفاق ؟

مدام جاكوب : ولا يزالان على غير وفاق ، فليس بينهما
أية صلة ، وزوج أخى تقيم فى الريف .

البارونة : ماذا ! أليس السيد توركاريه بأرملة ؟

مدام جاكوب : حسنا ! لقد افترق عن زوجه منذ عشر
سنوات ، وفرض لها نفقة لتقيم بفالوفى
ولا تاتى إلى باريس .

البارونة : [بصوت خافت لليزيت] ليزيت ؟

ليزيت : [بصوت خافت] أقسم لك يا سيدتى ، إنه
لرجل شرير .

مدام جاكوب : أوه ! إن الله سيعاقبه إن عاجلا أو آجلا .

لا بد أن يقع عليه ذلك ، ولقد سمعت
فى أحد البيوت أن هناك اضطراباً
فى أعماله .

البارونة : أهناك اضطراب فى أعماله ؟

مدام جاكوب : إيه ! وكيف لا يكون فيها اضطراب ؟
لأنه لعجوز مجنون أحب دائماً جميع النساء
ما عدا زوجها . إنه يلقي بالمال من النوافذ
عندما يتملكه الحب . إنه لرجل متلاف .
ليزيت : [بصوت خافت] ولمن تقول مدام جاكوب
هذا الكلام ؟ من يعرفه خيراً منا ؟

مدام جاكوب : [للبارونة] لا أدري بمن هو متعلق الآن ؛
ولكن هناك دائماً بعض السيدات ينتفنه
ويوقعنه في الشرك ، في حين يزعم أنه هو
الذى يوقعهن ؛ لأنه يعدهن بالزواج .
أليس هذا الرجل بغبي كبير ؟ ما رأيك
يا سيدتي ؟

البارونة : [في حيرة] نعم ، إن هذا ليس لأمر . . .
مدام جاكوب : [وهي تقاطعها] أوه ! إن هذا ليس في كل
السرور ؛ فإن هذا التّعسف يستحقه كل
الاستحقاق ! لو عرفت خليلته لذهبت
إليها أنصحتها بأن تنبيه وتلهمه وتغيظه
وتخربه تماماً . [إليزيت] لو أنك مكاني
أما كنت تفعلين مثلي يا آنستي ؟

ليزيت : لن أقصر في ذلك إطلاقاً ، يا مدام
جاكوب .

مدام جاكوب : [البارونة] اعذرني ، لأنني أثقل على
أذنك بالإفشاء لك بهمومي ، ولكنها حينما
تتسلط على فكري فلأنني أشعر بتأثير عميق
هزّ كياني فلا أقوى على الصمت ... وداعاً
يا سيدتي ، حينما يصل إلى لأكليل الشعر
فلأنني سأحضره لك في الحال .

البارونة : ليس هناك ما يدعو إلى السرعة ، ليس
هناك ما يدعو إلى السرعة .
[تخرج مدام جاكوب]

المشهد الثالث عشر

البارونة — ليزيت

البارونة : والآن ، يا ليزيت ؟
ليزيت : والآن ، يا سيدتي ؟
البارونة : هل كان من الممكن أن تتصورى أن للسيد
توركاريه اختاً تباع أدوات الزينة في المنازل ؟
ليزيت : هل كنت تصدقين أن له زوجاً شرعية
تقيم في الريف ؟
البارونة : يا للمخائن ! لقد أكد لي أنه أرمل ،
وصدقت ما قاله لي .
ليزيت : آه ! للماكر العجوز ! ... [وهي ترى

لبارونة سامنة [ولكن ما هذا ؟ ما بك ؟ ..
أراك حزينة كل الحزن . رحمة بحياتي !
إنك تأخذين المسألة مأخذ الجد كما
لو كنت تحبين السيد توركاريه .

البارونة

: بالرغم من أنني لا أحبه ، فهل يمكنني
أن أفقد أمل في الزواج منه دون حزن ؟
يا للفاجر ! إن له زوجة ! يجب أن أقطع
صلتى به .

ليزيت

: نعم ، ولكن مصلحة ثروتك تتطلب منك
أن تقضى أولاً على ثروته . هيا ،
يا سيدتي ، لنقتحم خزائنه وهو لا يزال
بين أيدينا ، ولنستول على أوراقه المالية ،
ليفلس تماماً ، ونجعله عرضة لأشد
ألوان البؤس ، بحيث يثرعما قريب شفقة
زوجه نفسها ويعود أخاً لمدام جاكوب .

الفصل الخامس

المشهد الأول

ليزيت [وحدها تحدث نفسها]

يا هذا البيت من بيت طبيب لى ولفرونتان !
لدينا حتى الآن ستون پيستولا ، وربما
حصلنا على مثل هذا المبلغ من تضامنتنا
فى العمل . فلنتدبر بالشجاعة ! إذا ربمنا
غالباً مثل هذه المبالغ الصغيرة ، فسيكون
لدينا فى النهاية مبلغ معقول .

المشهد الثانى

البارونة - ليزيت

البارونة : يبدو لى أن السيد توركاريه لا بد أن
يكون قد عاد ، يا ليزيت .

ليزيت : لا بد أن تكون قد عرضت له مسألة
جديدة . [وهى ترى فلامان يدخل دون أن

تتعرف عليه أول الأمر لأنه لم يعد يلبس زى الخدم
ولكن ماذا يريد هذا السيد ؟

المشهد الثالث

فلامان - البارونة - ليزيت

البارونة : [إلى ليزيت] لِمَ يتركون الناس يدخلون

علينا دون أن يخطرونا بذلك ؟

فلامان : ليس هناك ضرر في ذلك ، يا سيدتى ،
لأنه أنا .

ليزيت : [للبارونة ، وقد تعرفت على فلامان] إيه ! إنه

فلامان يا سيدتى ، فلامان بغير لباس

الخدم ! فلامان والسيوف يتدلتى على

خصره ! فياله من تحول عجيب !

فلامان : مهلا ، يا آنسى ، مهلا ! يجب ألا ادعى

فلامان فحسب . لم أعد خادما السيد

توركاريه ، كلا ، لقد منحنى وظيفة

طيبة ، نعم . لأننى الآن من رجال الأعمال ،

وبناء عليه يجب أن تنادىنى بالسيد فلامان ،

أتفهمين ؟

ليزيت : إنك على حق ، يا سيد فلامان ، ما دمت

قد أصبحت موظفاً ، فيجب ألا تعامل
معاملة الخدم .

فلامان : [وهو يشير إلى البارونة] إننى أدين بذلك
إلى البارونة ولم آت إلى هنا إلا لأشكرها .
لأنها سيدة طيبة ، لها فضل كبير على ، بأن
جعلتنى أحصل على وظيفة حسنة ، تدرّ
على حقاً مائة إيكوكل عام ، وهذه
الوظيفة أيضاً فى مدينة طيبة هى «فالىز» ،
وهى فيما يقال مدينة جدّ طيبة فيها أناس
فطروا بدورهم على الطيبة .

ليزيت : إنّ فى ذلك طيبات كثيرة ، يا سيد
فلامان .

فلامان : إننى ضابط حراسة باب جيبريه (١) .
ستكون المفاتيح فى حوزتى ، وفى استطاعتى
أن أدخل من أشياء وأخرج من أشياء .
وقد قيل لى إن هذا عمل طيب مشر .

ليزيت : يا للشيطان !

فلامان : أوه ! وأفضل ما فى الأمر أن هذه وظيفة
تجلب السعد لمن يعملون بها ، إذ أنهم

(١) الباب الذى يؤدى إلى ضاحية جيبريه

جميعاً يثرون فيها ، ويقاك إن
السيد توركاريه بدأ حياته بها .

البارونة : إنه لمجد عظيم لك ، ياسيد فلامان ، أن
تسير هكذا على نهج سيدك .

ليزيت : [لفلامان] وندعوك لمصلحتك أن
تقتدى به في الأمانة .

فلامان : [إل البارونة] سأرسل لك ياسيدتي ،
هدايا صغيرة ، بين الحين والآخر .

البارونة : كلا يا عزيزي فلامان ، إنني لا أطلبك
بأى شيء .

فلامان : أوه ! سأفعل ذلك ! فأنا أعرف كيف
يعامل الموظفون السيدات اللاتي يعيّنهم ،
غير أن أخوف ما أخافه هو أن أفصل
من وظيفتي ، إذ أن الإنسان ، كما تعلمين ،
شديد العزيمة لذلك في الوظائف .

ليزيت : إن هذا الأمر كرهه حقاً .

فلامان : [للبارونة] فمثلاً الموظف الذي فصل

اليوم لأعيّن أنا مكانه ، كان قد حصل
على هذه الوظيفة بوساطة سيدة كان
السيد توركاريه قد أحبّها ثم كف عن
حبها ، فاحترسني جيداً ياسيدتي من أن

تسبى فصلى من هذا العمل .

البارونة : سأولى ذلك كل جهدى ، ياسيد فلامان .

فلامان : أرجوك أن تظلى دائما موضع إعجاب السيد توركاريه ياسيدتى .

البارونة : سأبذل كل جهدى مادام ذلك فى مصلحتك .

فلامان : [وهو يدنو من البارونة] ضعى دائما من هذا الأحمر الجميل ليظلل السيد توركاريه مبهورا بحسنتك .

ليزيت : [وهى تدفعه] هيا ياسيدى ضابط الحراسة ، اذهب إلى باب جيبريه ، فنحن نعرف ما يجب علينا أن نعمله . . نعم ، لسنا فى حاجة إلى نصائحك ! . . . كلا ، لن تكون إلا غيبا دائما . لأننى أنا التى أقول لك ذلك ! أنفهم ؟
[يخرج فلامان]

المشهد الرابع

البارونة - ليزيت

البارونة : إنه لأكثر الرجال سداجة . . .

ليزيت : [وهي تقاطعها] ولكنه ظل خادما مدة
طويلة ، وكان ينبغي له أن يتعلم .

المشهد الخامس
جاسمان — البارونة — ليزيت

جاسمان : إنه السيد المركيز مع سيده طويلة بدينة [يخرج]

المشهد السادس
البارونة . ليزيت

البارونة : إنها لصيده الجديد ، وإنى لم تطلعه لرويتها .
ليزيت : لست أقلّ رغبة منك في مشاهدتها ،
فأنا أتصورها في صورة مضحكة .

المشهد السابع

المركيز — مدام توركاريه — البارونة — ليزيت

المركيز : [للبارونة] لقد أتيت ، يا بارونتي
الساحرة ، لأقدم لك سيده لطيفة ، من
أشد الناس خفة وتحراً ، وتسليه
وهذه الصفات الحميدة المشتركة بينكما
لا بد أن تربطكما بروابط الاحترام
والصداقة .

البارونة : إننى على أتم استعداد لهذه الرابطة

[بصوت خافت لليزيت] لأنها صاحبة الصورة ،

التي ضحى بها الفارس من أجل .

السيدة توركاريه : أحشى ، يا سيدى ، أن تفقدى عما قليل

هذه العواطف الطيبة ؛ فإن سيدة مثلك

تنتمى إلى المجتمع الراقى ، ذاك المجتمع

الراقى ، قلما تجد متعة فى معاشرة امرأة

مثل من الريف .

: إن مظهرك ليس بريئاً ياسيدتى ،

وليس لأشد سيداتنا بحارة للمبتكرات

العصرية ، الرقة التى تبدو فى تصرفاتك .

: [وهو يشير إلى السيدة توركاريه] آه ! وحق

السماء ! كلا . لأننى صاحب خبرة

يا سيدتى ، وستشعدين لى ، حينما يقع

بصرك على هذا القوام وهذا الوجه ،

أننى أحسن سادة فرنسا ذوقاً .

السيدة توركاريه : إنك مهذب للغاية ، يا سيدى المركيز ،

قد يناسبنى هذا الشئ فى الريف ، حيث

أستطيع أن أقول دون تباه كاذب لأننى

ألمع السيدات هناك ، لأننى أترقب كل

جديد من الأزياء حيث ترسل لى كل

مستحدثاتها ، منذ اللحظة التى تبتكر فيها ،

البارونة

المركيز

ويمكننى أن أفخر بأننى أول من ارتدى

زينة « البريتنتاى ^(١) » بمدينة فالونى .

ليزيت : [على حدة] يا لها من امرأة مجنونة !

البارونة : إنه لجميل أن يكون الإنسان قدوة لمدينة

كهذه !

السيدة توركاريه : لقد جعلتها فى مستوى مناسب ! لقد

وصلت بها إلى أن تكون باريس الصغيرة

بما أجتذبه إليها من شبان وجهاء .

المركيز : [ساخراً] كيف تقولين باريس الصغيرة !

أتعلمين أنه يكفى ثلاثة شهور من الإقامة

بفالونى ليصبح الإنسان رجلاً كاملاً من

رجال البلاط ؟

السيدة توركاريه : [للبارونة] أوه ! إننى ، على الأقل ،

لا أعيش عيشة سيادة ريفية . فأنا لا أبقى

بمخينة فى قصرى ، إذ أننى شديدة الميل

إلى المجتمع . إننى أسكن المدينة ، ويمكننى

القول بأن منزلى مدرسة للشبان يتعلمون

فيها حسن السلوك ورقة التصرف .

(١) البريتنتاى "Fretintailles" زينة كانت تزين بها ثياب السيدات

فى ذلك الوقت

لنزيه : إنه لأشبه بكلية نورمانديا الجنوبية .

السيدة توركاريه : [للبارونة] إن الناس يلعبون القمار في بيتي ،
ويجتمعون لينقدوا الناس ويقرأون فيه جميع
الكتب الممتعة التي تظهر في شيربورج
وسانلو وكوتانس ، وهي ليست أقل
قيمة وممتعة من مؤلفات فيروكان . كما
أقيم في منزلي بعض الأحيان حفلات
عاطفية ، وأقدم وجبات خفيفة . حقاً
إن طبائخنا لا يعرفون صنع أى لون من
الطعام المتبّل ، ولكنهم قادرون على
أن يخرجوا اللحم من النار في الوقت المناسب
تماماً ، بحيث لو بقيت بمقدار لفّة سيخ
أكثر أو أقل لتعرضت للتلف .

المركيز : هذا هو أساس الطعام الشهى... وذمى ،
فلتعش فالونى للشواء !

السيدة توركاريه : أما الحفلات الراقصة ، فإننا كثيراً
ما نقيمها . كم يتسلى الناس فيها !
وما أشد أناقتها وحسن ذوقها على
بساطتها ! إن سيدات فالونى هن أوليات
سيدات العالم في إتقان فن التنكر ، ولكل

منهن تنكرها المختار ، نحنوا ما هو قناع
تنكرى المفضل ؟

ليزيت : لعل سيدتى تنكر فى زى إله الحب ؟

السيدة توركاريه : أما هذا فلا !

البارونة : إنك تنكرين فى زى إلهة ، صورة إحدى
إلهات الجبال فيما أعتقد ؟

السيدة توركاريه : فى صورة فينوس ، يا عزيزتى ، فى صورة
فينوس .

المركيز : [ساخراً] فى صورة فينوس ! آه !
يا سيدتى ، ما أجمل تنكرك !

ليزيت : [بصوت خافت] لا يمكن أن يعمل أفضل
من ذلك .

المشهد الثامن

الفارس — البارونة — السيدة توركاريه — المركيز — ليزيت

الفارس : [للبارونة] سيكون لدينا بعد قليل ياسيدتى ،
أعظم الجوقات الموسيقية سحراً . . . [لنفسه]
وقد لمح السيدة توركاريه [ولكن ماذا أرى ؟

السيدة توركاريه : [على حدة] يا للسماء !

البارونة : [بصوت خافت لليزيت] لقد كنت أتوقع ذلك .

الفارس : [للمركيز] هل هذه السيدة هي التي حدثتني عنها أيها المركيز ؟

المركيز : نعم ؛ لأنها كوندتيسى . ليم هذه الدهشة ؟
الفارس : أوه ! وحق الله ! لم أكن أتوقع ذلك !
السيدة توركاريه : [على حدة] يا لسوء الحظ !

المركيز : [للفارس] أوضح أيها الفارس ! هل تعرف كوندتيسى ؟

الفارس : بلا شك ؛ لأننى على صلة بها منذ ثمانية أيام .

المركيز : ماذا أسمع ؟ يا للخائنة ! يا لناكرة الجميل !

الفارس : وقد تكرمت هذا الصباح وأرسلت إلى صورتها .

المركيز : كيف ذلك وحق الشيطان ! إن لديها إذن صوراً توزعها على الناس جميعاً ؟

المشهد التاسع

مدام جاكوب - البارونة - المركيز - الفارس -
السيدة توركاريه - ليزيت

مدام جاكوب : [للبارونة] لقد أحضرت لك يا سيدتي ،
الإكليل الذي كنت قد وعدتك به .

البارونة : ما أسوأ اختيارك للوقت الذي تأتين فيه ،
يا مدام جاكوب ! إنك ترينني في صحبة
جماعة من الأصدقاء .

مدام جاكوب : معذرة ، يا سيدتي ، سأعود مرة أخرى .
[وهي تلمح السيدة توركاريه] ولكن ماذا
أرى ؟ إن زوجة أخي هنا ! السيدة
توركاريه !

الفارس : السيدة توركاريه ؟

البارونة : [لمدام جاكوب] السيدة توركاريه ؟

ليزيت : [لمدام جاكوب] السيدة توركاريه ؟

المركيز : [على حدة] يا له من حادث طريف !

مدام جاكوب : [للسيدة توركاريه] أية مصادفة يا سيدتي ،
تلك التي جعلتني أقابلك في هذا البيت .

السيدة توركاريه : [على حدة] لأعتمد إلى الجراءة . . . [متحدثة

إلى مدام جاكوب [إننى لا أعرفك يا عزيزتى ؟

مدام جاكوب : ألا تعرفين مدام جاكوب ؟ ... وحق
الله ! لأنك افترقت منذ عشر سنوات
عن أخى لأنه لم يطق الحياة معك ،
تظاهرين الآن بأنك لا تعرفينى .

المركيز : إنك لا تدرين ما تقولين ، يا مدام
جاكوب ، أتعلمين أنك تتحدثين إلى
كونتيسة ؟

مدام جاكوب : إلى كونتيسة ! إيه ! وفى أى مكان ،
أرجوك أن تخبرنى ، تقع المقاطعة التى
تحكمها ؟ آه ! حقاً ، إننى أحب بدورى
مثل هذه المظاهر من التباهى .

السيدة توركاريه : إنك وقحة يا عزيزتى .

مدام جاكوب : أنا وقحة ! أنا وقحة ! ... وحق الله
لأنها جيمنى ! فإن كانت الغلبة للقذف بالشتائم
فقد رتّى فيها لا تقل عن قدرتك .

السيدة توركاريه : أوه ! إننى لأشك فى ذلك ، إن ابنة
بيطار من « دونفرون » لن تنقصها الشتائم
دون أدنى شك ؟

مدام جاكوب : ابنة بيطار ! يا للسماء ! إنك سيدة رفيعة

الشان حقاً لتأتى وتعيرينى بنشأتى ! يبدو
 أنك نسيت أن السيد بربوشيه ، أباك كان
 بائع خالوى بمدينة فاليز : هيا ياسيدتى
 الكونتيسة ، مادام بيننا هنا كونتيسة ،
 إن كلاً منا تعرف الأخرى تماماً ، إن أخى
 سيسخر حقاً عندما يعلم أنك قد انتحلت
 هذا اللقب المضحك لتأتى وتمرحى فى
 باريس ، وأود ليجرد التسلية أن يأتى
 هنا الآن .

الفارس : ستحصلين على هذه المتعة ، يا سيدتى ،

إننا ننتظر السيد توركاريه لتناول العشاء .

السيدة توركاريه : [على حدة] واحيرتاه !

المركيز : [لمدام جاكوب] وستتناولين العشاء معنا

أيضاً ، يا مدام جاكوب ، فأنا أحب
 وجبة العشاء العائلية .

السيدة توركاريه : لئننى غاية فى اليأس لقدومى إلى هذا المنزل .

ليزيت : [على حدة] لئننى أصدق ذلك كل التصديق !

السيدة توركاريه : [راغبة فى الخروج] لئننى خارجة فى الحال .

المركيز : [وهو يمنحها من الخروج] أرجوك ، لن تذهبي

قبل أن تقابلى السيد توركاريه .

السيدة توركاريه : لا تمنعني ، يا سيدى المركيز ، لا تمنعني
من الخروج .

المركيز : أوه ! وحق الله ! يا آنسة بربوشيه ،
لن تخرجي ، تأكدي من ذلك .

الفارس : آه ! أيها المركيز ، كفت عن منعها .
المركيز : لن أسمع لها بالخروج . أريد أن أعاقبها
لأنها قد خلدتتنا نحن الاثنين ، وأود أن
أوقعها في شجار مع زوجها .

البارونة : كلا أيها المركيز ، أرجوك ، دعها
تخرج .

المركيز : إنه رجاء غير مقبول ، وكل ما يمكنني
أن أفعله من أجلك ياسيديتي ، هو أن أسمح
لها أن تتذكر في صورة فينوس كيلا
يتعرف عليها زوجها .

ليزيت : [وهي ترى السيد توركاريه داخلا] آه !
وربي ! ها هو ذا السيد توركاريه !

مدام جاكوب : [عل حدة] إنني في غاية السرور لقدمه .

السيدة توركاريه : [عل حدة] يا له من يوم مشغوم !
البارونة : [عل حدة] لماذا يقع هذا المشهد في بيتي ؟

المركيز : [عل حدة] إنني في غاية السرور !

المشهد العاشر

السيد توركاريه - السيدة توركاريه - البارونة -

مدام جاكوب - المركيز - الفارس - ايزيت

السيد توركاريه : [للبارونة] لقد صرفت المحضر ،
يا سيدتي وأنهيت... [لنفسه ، وقد لمح اخته]
آه ! هل أصدق عيني ؟ أأختي هنا ! ..
[وهو يلح زوجه] وأسوأ من ذلك ،
أرى زوجي !

المركيز : هأنذا محاط بمعارفك ، يا سيد توركاريه !

[مشيراً إلى مدام توركاريه] إنك ترى

كونتيسة جميلة تقيدي بسلاسلها ، وأظن

أنك تقبل أن أعرفك بها على ألا أنسى

أن أقدم إليك أيضاً مدام جاكوب .

مدام جاكوب : [للسيد توركاريه] آه ! أخى !

السيد توركاريه : آه ! أختي ! بحق الشيطان ، من ذا الذى

جاء بهما إلى هنا ؟

المركيز : أنا ، يا سيد توركاريه ، إنك تدنين لى

بذلك . قبل هاتين السيدتين المحبوبتين ...

آه ما أشد التأثير الذى يبدو عليه ! لأننى

معجب بقوة روابط الدم وبالحب الزوجى .

السيد توركاريه : [على حدة] لأننى لا أجروء على النظر إليها ،
لأذ يخيّل إلى "أننى أرى الشيطان الذى يلحق
بى الشر !

السيدة توركاريه : [على حدة] لا أستطيع رؤيته دون اشمئزاز .
المركيز : [إلى السيد والسيدة توركاريه] لا تتكلفا إخفاء
مشاعركما أيها الزوجان المتحابان . أظهر
كل السرور الذى لا بدّ أن تشعرا به بعد
فراق دام عشر سنوات .

البارونة : [للسيد توركاريه] لم تكن تتوقع يا سيدي ،
أن تقابل هنا السيدة توركاريه ، وأنا
أتصور فى سهولة ويسر الحرج الذى أنت
فيه ، ولكن ليمّ قلت لى إنك أرملة ؟
المركيز : أقال لك إنه أرملة ؟ إيه ! وحق الله !
لقد قالت لى زوجه أيضاً إنها أرملة ،
فكلاهما متلف لآن يصبح أرملاً .

البارونة : [للسيد توركاريه] : تكلم ، ليمّ خدعتنى ؟
السيد توركاريه : [مأخوذاً] لقد ظننت ، يا سيدي . . . أنه
إذا جعلتلك تصديقين أن . . . كنت أظن
أننى أرملة . . . ستظنين أن . . . ليس
لى زوج . . . [محدثاً نفسه] إن فكرى
مضطرب ، ولا أدرى ما أقول .

البارونة : إننى أدرك فكرتك يا سيدى ، وأغفر

لك غشا ظننته ضرورياً لأصغى إليك ،
بل سأعمل أكثر من ذلك : إذ أننى
أريد ، بدلا من أن ألجأ إلى اللوم ، أن
أصلح بينك وبين السيدة توركاريه .

السيد توركاريه : من ، أنا ! يا سيدتى ؟ أوه ! أمّا هذه
فلا . إنك لا تعرفينها ، إنها شيطان وأنا
أوثر الحياة مع زوج المغولى الكبير^(١) ،
من أن أعيش معها .

السيدة توركاريه : آه ! يا سيدى ، لا تمنع فى الأمر كل
هذه الممانعة ، فأنا على الأقل لست أكثر
رغبة فيه منك . ولو كنت أكثر محافظة
على المواعيد فى تسديد النفقة التى فرضتها
لى لتبقىنى فى الريف ، لما أتيت لى باريس
أعكر عليك صفوك .

المركيز : [للسيد توركاريه] لتبقىها فى الريف ؟ ..

آه ! يا سيد توركاريه ، إنك على خطأ

(١) هو حاكم ملكة المغول التى أسماها جنجرخان ، وبعتها تيمورلنك .
وفى سنة ١٧٠٧ مات المغول الكبير أوانج زيب ، وقامت فى الهند
حروب تدخل فيها الإنجليز والفرنسيون فخلق ذلك خرافة حول ظلم المغول
الكبير ونزواته .

وإن زوجك لتستحق أن تدفع لها مقدماً

الأقساط الواجبة الأداء كل أربعة شهور.

السيدة توركاريه : لقد استحققت لى خمسة أقساط منها ،

وإذا لم يدفعها لى فلن أعود لى الريف ،

سأبقى فى باريس لأجعله يستشيط غيظاً .

سأذهب لى منازل خليلاته أثير الشغب..

وسأبدأ بهذا المنزل ، لأننى أنذركم بذلك.

السيد توركاريه : [على حدة] آه ! يا للوقعة !

ليزيت : [على حدة] إن الحديث سينتهى نهاية سيئة.

البارونة : [لى السيدة توركاريه] إنك تسبيننى يا سيدتى.

السيدة توركاريه : لى عينان ولله الحمد ! لى عينان وأنا

أرى بهما جلياً كل ما يحدث فى هذا

البيت . إن زوجى أشد الناس غفلة .

السيد توركاريه : [وهو يقاطعه] يا للقحة ! آه ! وحق

الشیطان أيتها التهمة ! لو لا احتراعى

للمحاضرين

المركيز : [وهو يقاطعه] لا حرج عليك ، يا سيد

توركاريه ، إنك هنا مع أصدقائك ،

فتصرف بحرية .

الفارس : [للسيد توركاريه وقد وقف بينه وبين زوجته]

يا سيدى

البارونة : [للسيدة توركاريه] لا تنسى أنك فى بيتى .

المشهد الحادى عشر

جاسمان - السيد توركاريه - السيدة توركاريه - البارونة -
مدام جاكوب - المركيز - الفارس - ليزيت .

جاسمان : [للسيد توركاريه] يوجد فى عربة وقفت
أمام الباب سيدان يقولان إنهما من
شركائك ويريدان التحدث إليك فى أمر
هام [يخرج] .

المشهد الثانى عشر

السيد توركاريه - السيدة توركاريه - البارونة -
مدام جاكوب - المركيز - الفارس - ليزيت

السيد توركاريه : [إلى السيدة توركاريه] آه ! لانى عائد . . .
سأعلمك أيتها الوقحة كيف تحترمين بيتاً . . .
السيدة توركاريه : [وهى تقاطعه] لانى لا أخشى تهديداتك .
[يخرج السيد توركاريه]

المشهد الثالث عشر

السيدة توركاريه - البارونة - مدام جاكوب -
المركيز - الفارس - ليزيت .

الفارس : [للسيدة توركاريه] هدى من روعك
يا سيدتى ، ليجدك السيد توركاريه ساكنة
حينما يعود إلينا .

السيدة توركاريه : أوه ! إن هذا الغضب الشديد الذى
يبديه لا يبعث فى نفسى أى خوف .

البارونة : سنعمل على تهدئته لصالحك .

السيدة توركاريه : إننى أدرك ما تعنين ، يا سيدتى . إنك
تريدين أن تصلحى بينى وبين زوجى
لأقبل ، اعترافاً بالجميل ، أن يستمر على
ودّه لك .

البارونة : إن الغضب ليعميك ، وأنا لا أريد سوى
اجتماع قلبيكما . إننى أترك لك السيد
توركاريه ، ولا أودّ رؤيته ما حييت .

السيدة توركاريه : إن هذا المنتهى الكرم .

المركيز : [للفارس ، وهو يشير إلى البارونة] ما دامت
السيدة تتنازل عن الزوج ، فأنا بدورى
أتنازل عن الزوجة .. هيا أيتها الفارس

تنازل أنت أيضاً عنها . إنه الجميل أن
يتغلب المرء على نفسه .

المشهد الرابع عشر

فرونتان - السيدة توركاريه - البارونة - مدام جاكوب -
المركيز - الفارس - ليزيت .

فرونتان : [على حدة] يا للكارثة المفاجئة ! يا للمصيبة
الشديدة !

الفارس : ما وراءك يا فرونتان ؟

فرونتان : لقد وضع شركاء السيد توركاريه بمنزله
حرساً^(١) ، بسبب مائتي ألف إيكو هرب
بها محصل كان قد ضمنه . . لقد أتيت
إلى هنا بسرعة لأخبره بالأمر ، كي يفرّ
ولكنني وصلت بعد فوات الأوان ؛ فقد
قبض دائنوه عليه .

مدام جاكوب : أخى بين أيدي دائنيه . . ! مهما بلغ من
عقوقه فأنا متأثرة أشدّ التأثر للكارثة التي
حلت به ، وسأستعمل من أجله كل نفوذى .

(١) . كان من حق الدائنين أن يجعلوا بيت المدين فى حراسة بعض
رجال الشرطة ، ويلتزم المدين بالإنفاق عليهم .

لأننى أشعر أننى أخته . [تخرج]

المشهد الخامس عشر

السيدة توركاريه - البارونة - المركيز -

الفارس - ليزيت - فرونتان

السيدة توركاريه : وأما أنا فسأبحث عنه لأصّب عليه اللعنات ؛
لأننى أشعر أننى زوجته .

[تخرج]

المشهد السادس عشر

البارونة - المركيز - الفارس - ليزيت - فرونتان .

فرونتان : كنا نرجو أن نستمتع بلذة القضاء على
ثروته ، ولكن العدالة كانت بدورها
شديدة الرغبة فى هذه المتعة ، وقد سبقتنا
إليها .

المركيز : حسنا ! حسنا ! إن لديه المال الكافى
ليخلص نفسه من هذه الورطة .

فرونتان : لأننى أشك فى ذلك ، إذ يقال إنه بدّد
تبديداً جنونياً مبالغ طائلة . . ولكن ليس
هذا ما يحزننى الآن ، إن الذى يضايقنى

هو أننى كنت بمنزله عندما جاء دائنوه
ليضعوا الحراسة عليه .

الفارس : وما فى ذلك ؟

فرونتان : ما فى ذلك ؟ لقد استوقفونى أنا أيضاً

يا سيدى ، وفتشونى ليروا ما إذا كنت
أحمل مصادفة أوراقاً يكون فيها فائدة
تعود على الدائنين .. [وهو يشير إلى البارونة]
لقد استولوا على صكّ سيدتى الذى
سلمته أنت لى ، منذ حين ، لما لهم فيه
من فائدة .

الفارس : ماذا أسمع ؟ يا للسما !

فرونتان : وقد أخذوا منى أيضاً صكاً آخر بعشرة

آلاف فرنك ، كان السيد توركاريه قد
دفعها نظير العقد المشترك ، وكان السيد
فوريه قد سلّم لى هذا المبلغ .

الفارس : إيه ! ولِمَ لم تقل أيها الصعلوك إنك
فى خدمتى ؟

فرونتان : لأننى حقاً لم أقصّر فى ذلك . لقد أبلغتهم

أننى فى خدمة فارس ، ولكنهم أبوا أن
يصدقونى عندما رأوا الصكين المائتين (١) .

(١) كان الفرسان من أصغر أبناء الأسر الكبيرة ، وكان نصيبهم
فى الميراث ضئيلاً بحيث لا يتيح لهم الثراء .

الفارس : لأننى لم أعد أمتلك نفسى ، لقد بلغ بى
اليأس أقصى الحدود !

البارونة : أما أنا فأفتح عينيّ : لقد قلت لى إن

قيمة الصك من المال فى منزلك .

ويتضح لى من ذلك أن ماستى لم تُرهَن ،

وأعرف الآن ما يجب أن أراه فى تلك

القصة الجميلة التى وردت على لسان

فرونتان : قصة غضبك ليلة أمس . أيها

الفارس ، ما كنت أظنك تسلك مثل هذا

المسلك . . . [وهي تنظر إلى ليزيت] لقد

طردت مارين لأنها لم تكن تتجواب مع

مصالحصك ، وأطرد الآن ليزيت لأنها

تتجواب معها . . وداعاً لأننى لا أريد أن

أسمع عنك شيئاً بعد اليوم .

[تنسحب إلى داخل مسكنها]

المشهد السابع عشر

المركيز - الفارس - فرونتان - ليزيت

المركيز : [ضاحكاً يخاطب الفارس الذى تبدو عليه دلائل

الحيرة الشديدة] آه ! آه ! بالله أيها الفارس

إنك حكي . إن ذهولك يسليني ؛
هيا بنا نتناول العشاء بالمطعم وننفق الليل
في الشراب !

: [للفارس] هل أتبعك يا سيدي ؟
: كلا إنني أطرده ، ولا تدع عيني تقع
عليك إطلاقاً بعد اليوم .
[يخرج مع المركيز]

فرونتان

الفارس

المشهد الثامن عشر

فرونتان — ليزيت

: ونحن يا فرونتان علام نستقر ؟
: لدي قرار أقترحه عليك . عاش الذكاء ،
يا بنيتي ! لقد لجأت إلى الجراءة ، ولم يخطر
لهم أن يفتشوني .

ليزيت

فرونتان

: هل معك الورقتان ؟
: لقد قبضت قيمتهما والمال في أمان .
لدي أربعون ألف فرنك ، وإن كانت
مطامعك تقبل الاكتفاء بهذه الثروة
الضئيلة ، فلنزوج إذن ؛ ولنأخذ لأنفسنا

ليزيت

فرونتان

طابع الأسر

: أوافق على ذلك

ليزيت

: لقد مضى عهد السيد توركاريه ، وسيبدأ

فرونثان

عهدي .

تمت